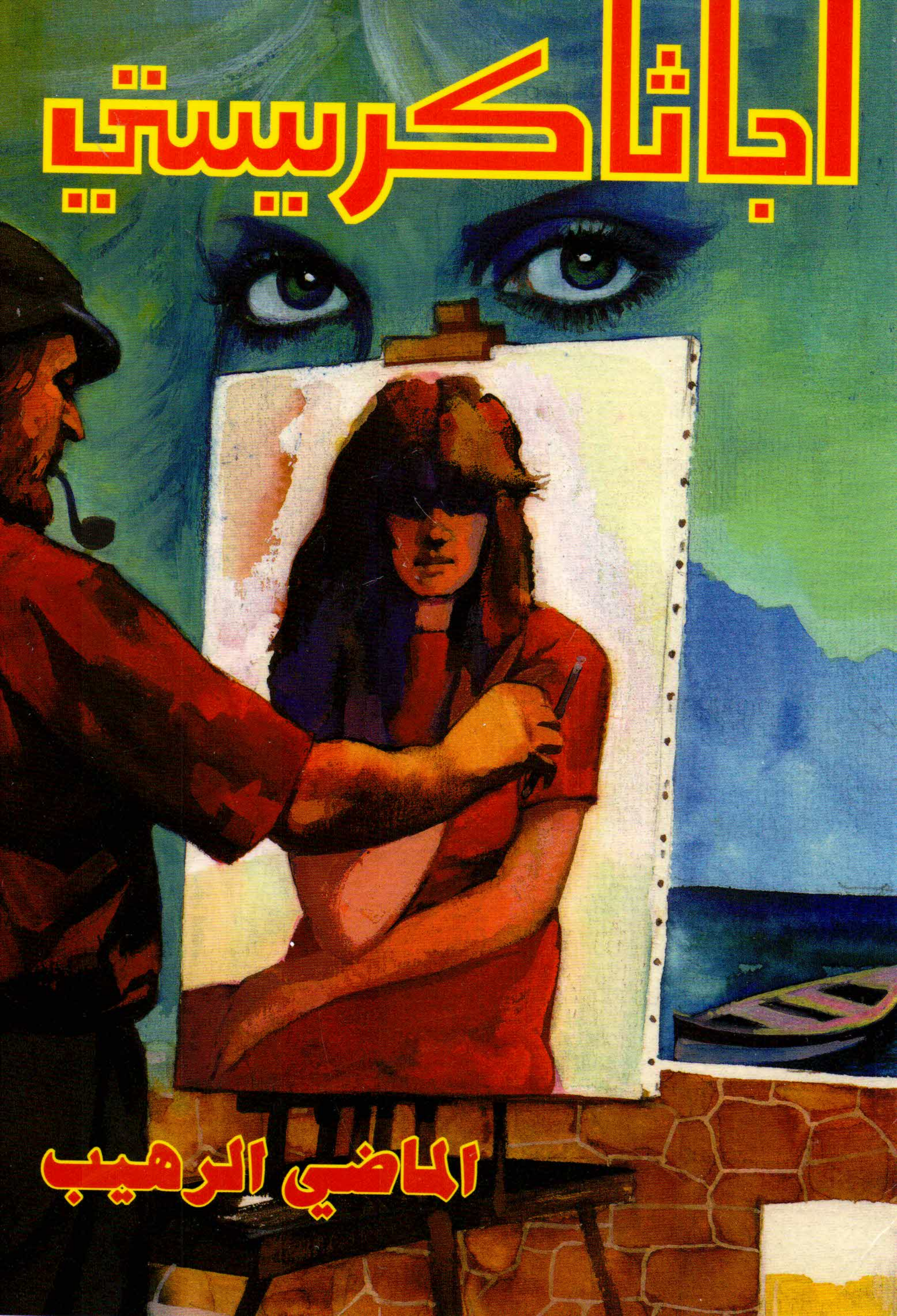

اجاثا كريستي
الماضي الرهيب



كان شغف "أمياس كرال" بالرسم والنساء هو مصدر شهرته.
أما جريمة القتل التي ارتكبها فقد جلبت له صيتًا سيئًا فاضحًا. كانت زوجته تحاكم منذ ستة عشر عامًا وصدر ضدها حكم بالسجن مدى الحياة، بسبب ارتكابها لجريمة قتل عن طريق الذبح البشع، ولكن ابنتهما "كارلا" وهي شابة لا تزال مقتنعة ببراءة أمها، ولذلك فقد عرضت على "هركيول بوارو" دليلاً قويا يُبرئ أمها ، وهذا الدليل موجود في المشهد الأخير للقتل، وطالبته بالرجوع إليه واكتشاف الثغرة الأساسية التي تخل بالجريمة الكاملة كما يسمونها!

أجاثا كريستي

☐ الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

☐ بيع من كتبها أكثر من 650 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

☐ كاتبة روايات بوليسية، ولدت في جنوب غرب إنجلترا من أب أميركي وأم إنجليزية، لكنّها تقول " إني إنجليزية ". تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعاً. فرواياتها كبيرة متكاملة، فيها عشرات الشخصيات الحيَّة التي يشعر بها الإنسان دائماً. لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصيَّة في الرواية، كما تميَّزت أيضاً بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. إنّها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضا أهدافاً إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ثمن النسخة

البلد	الثمن	البلد	الثمن
لبنان	3000 ل. ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل. س.	مسقط	1,5 ريال
الأردن	1,5 دينار	مصر	10 جنيه
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1,5 دينار	اليمن	400 ريال


ISBN 9953-38-203-4
9 789953 382036

الماضي الرهيب

بونارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرَّبة

الماضي الرهيب

(78)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

البريد الإلكتروني info@inter-press.org www.inter-press.org

قام بعون الله الأستاذان / **عبد المنعم علي خطاب - السيد محمد نصر الدين**

مشكورين بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية.

الاسم الأصلي للرواية

Five Little Pigs

(1943)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

- 1 -

نظر "**هركيول بوارو**" في اهتمام وإعجاب إلى الفتاة الجميلة التي أدخلت إلى مكتبه. لم يكن في الرسالة القصيرة التي بعثت بها إليه شيء واضح، مجرد رجاء بأن يحدد لها موعداً للمقابلة، ولا شيء غير هذا إلا التوقيع باسمها: "**كارلا لامرشان**". وهاهي ذي تأتي إليه في الموعد المحدد: طويلة، رشيقة، في أوج الشباب، في نحو الثانية والعشرين، تنم ثيابها عن موفور ثرائها، وينبئ تألق عينيها الجميلتين عن فيض الصبا والحيوية والنضارة. لقد كان "**هركيول بوارو**" – قبل دخولها – يشعر بدبيب الشيخوخة، أما الآن وهي تقبل نحوه، فإنه يشعر بعودة الشباب والحيوية. وفيما هو يتقدم نحوها مصافحا، كان يشعر بعينيها الرماديتين تمعنان في النظر إلى وجهه، وكأنما تريد الفتاة أن تنفذ إلى أعماقه. جلست إلى المكتب، وتقبلت لفافة التبغ التي قدمها إليها، وراحت تدخن في هدوء دقيقة أو اثنتين، وهي لا تزال تمعن في النظر إليه في اهتمام وتفكير. قال "**بوارو**" في رفق:

– لا شك في أنك تسألين نفسك الآن: هل أنا حقًّا الرجل البارع في كشف غوامض الجرائم، أم لست سوى طبل أجوف؟

وابتسمت وقاطعته قائلة بصوتها الموسيقي الرقيق:

– نعم، نعم هذا صحيح. فالواقع أنك يا سيد "**بوارو**" لا تبدو في الصورة التي كنت أتخيلها عنك!

– وعجوز أيضا.. أليس كذلك؟ أكبر سنا مما كنت تتوقعين!

– بلى. إنني كما ترى صريحة. والواقع أني أريد أن أعهد بمهمتي إلى خير من يصلح للقيام بها.

– اطمئني من هذه الناحية، فإني الرجل المنشود.

– يبدو أنك لا تعرف شيئًا اسمه التواضع يا سيد "**بوارو**"؟ حسنًا، لسوف أعتمد عليك رغم المظاهر.

فقال "**بوارو**" بهدوء:

– إنني اعترف بالحقائق فقط. إن الإنسان لا يحتاج دائما إلى استعمال عضلاته في الأبحاث الجنائية، بل إنني أحيانًا لا ألجأ إلى الانحناء على الأرض، وقياس الآثار، واختبار ميل العشب لأتعرف على اتجاه السير، وإنما يكفي في كثير من الأحيان أن أجلس، وأفكر.

ثم نقر على رأسه الأصلع، المستدير كالكرة، وأردف قائلاً:

– هذا هو الذي يقوم بكل ما ينبغي القيام به.

– إنني أعرف، وهذا ما يحفزني إلى الحضور إليك، فإني أريد أن تقوم لي بمهمة عجيبة. إن اسمي ليس "**كارلا**" وإنما "**كارولين**" كاسم أمي.. وأما "**لامرشان**" فهو ليس اسم أبي، إن أبي هو "**أمياس كريل**". فقطب "**بوارو**" جبينه مفكرا، ثم قال:

–"**أمياس كريل**".. "**أمياس كريل**".. يخيل إلي أني أعرف هذا الاسم..

– إنه رسام معروف، ويؤكد بعض المعجبين أنه من أكبر الرسامين الفنانين، وأنا أعتقد هذا أيضا.

– نعم، نعم "**أمياس كريل**"، ولكنني أحاول أن أتذكره بمناسبة أخرى.

– لقد مات قتيلا، واتهمت أمي "**كارولين**" بقتله!

– آه.. تماما، إنني أتذكر الآن، لقد كنت وقتذاك في الخارج، وأعتقد أن هذا قد حدث منذ سنوات طوال.

– ستة عشر عاما! وأردفت الفتاة قائلة بوجه شاحب، وعينين متألِّقتين:

– لقد حوكمت أمي، وصدر الحكم بإدانتها، ولكنها لم تشنق بسبب وجود ظروف مخففة، فعدل الحكم إلى السجن المؤبد، ولكنها ماتت بعد المحاكمة بعام، ومن ثم ترى أن كل شيء قد انتهى و...

وضمت يديها إلى بعضهما، ثم قالت بصوت متهدج:

–كنت عند وقوع الحادث في الخامسة من عمري، أي كنت أصغر من أن أدرك تماما ما يجري حولي. إنني أتذكر أبي وأمي بالتأكيد، وأتذكر أني غادرت البيت

فجأة إلى الريف، وأتذكر خراف المزرعة السمان، وزوجة المزارع، وأن الجميع كانوا يعاملونني في رفق، وأتذكر بوضوح الطريقة العجيبة التي كانوا ينظرون بها إلي، وكنت أعرف كطفلة أن شيئا ما قد حدث، ولكني لم أعرف طبيعة هذا الشيء.

ثم أتذكر أني ركبت باخرة، وكانت الرحلة مثيرة. استغرقت بضعة أيام، وعندما وصلت إلى "**كندا**" استقبلني العم "**سيمون**"، وعشت معه ومع زوجته العمة "**لويز**"، وكنت كلما سألتهما عن أبي وأمي قالا إنهما سيلحقان بي سريعا. وعلى مر الأيام نسيت أمرهما، بعد أن عرفت دون أن يخبرني أحد أنهما ماتا، وعشت سعيدة في "**كندا**"، فقد كان العم "**سيمون**" والعمة "**لويز**" مثالين للطيبة والشفقة والحب.

وذهبت إلى المدرسة وتعرفت إلى صديقات كثيرات، ونسيت تقريبا كل شيء عن حياتي السابقة، وأنا دون الخامسة، وحتى اسمي أصبح "**كارلا لامرشان**" بدلا من "**كارولين كريل**".

ثم نظرت "**كارلا**" في وجه "**بوارو**" بإمعان برهة، واستطردت تقول:

-انظر إلى وجهي. إنك حين تراني في الطريق أو وأنا أستقل سيارتي الخاصة الفاخرة، ستشير إلي وتقول: «هذه فتاة جمعت بين الجمال والمال والشباب، وليس لها في هذه الدنيا متاعب على الإطلاق». وهذا هو الواقع إلى حد ما فأنا شابة، وجميلة، وثرية، وليس في الدنيا فتاة أتمنى أن أكون مثلها، ولكنني مع هذا كله بدأت أسأل عن أبي وأمي: من هما؟ وماذا فعلا؟ وكيف ماتا؟ ولم أجد ثمة مفراً من أن أعرف في النهاية كل شيء.

ومرة أخرى صمتت "**كارلا**" برهة، قبل أن تستأنف حديثها قائلة:

-ولم يسع العم "**سيمون**" والعمة "**لويز**" إلا أن يخبراني بالحقيقة، كل الحقيقة؛ لأني حين بلغت الحادية والعشرين من عمري أصبحت حرة التصرف في الثروة الطائلة التي تركها أبواي لي، ولأنه أصبح من حقي وأنا في هذه السن أن أقرأ الخطاب الذي تركته لي أمي وهي على فراش الموت.

ومن هذا الخطاب علمت الحقيقة الرهيبة، علمت أنها اتهمت بقتل أبي، وقدمت إلى المحاكمة، وصدر عليها الحكم بالسجن المؤبد، ويا لها من مفاجأة قاسية. وتوقفت برهة أخرى، ثم عادت تقول:

– وهناك شيء آخر ينبغي أن أصارحك به، فأنا أتبادل الحب مع شاب أعتبره مثلي الأعلى في الحياة، وعلى الرغم من أن الجميع لا يعترضون على زواجنا، فقد طلبوا إليَّ إرجاء الزواج حتى أبلغ الحادية والعشرين من عمري، وقد عرفت الآن لماذا! فقال "بوارو" وقد أدرك حقيقة الموقف:

– وهل عرف خطيبك الحقيقة؟

– نعم، بالتأكيد أخبرته بها كلها.

– وما رأيه؟ ماذا كان رد الفعل في نفسه؟

– قال: «إن الحب الحقيقي الذي يجمع بيننا لا يحفل بأحداث الماضي، وإنما المهم هو المستقبل». ثم مالت إلى الأمام وأردفت تقول:

– إننا لا نزال مخطوبين، ولكني أفكر، بل أنوي أن أفسخ الخطبة إذا لم أتأكد من براءة أمي. نعم، لا تعجب يا سيد "بوارو"، لسوف أخبرك لماذا أوقن ببراءة أمي، المهم الآن أن أؤكد لك أني لا أستطيع أن أتزوج، وأنجب أطفالا، وأعيش طول عمري في فزع من أن يعرف أطفالي حقيقة مأساة جديْهم لأمهم.. إنني لن أستطيع أن أحتمل أن يشار إليهم على أنهم أحفاد السيدة التي قتلت زوجها.

– ألا تعرفين أنه لا يوجد الإنسان الذي يستطيع أن يزعم أنه ينحدر من أصلاب أجداد لم يرتكبوا في حياتهم ما هو أسوأ من جرائم القتل؟

– حقًّا إنه لا يوجد مثل هذا الإنسان، ولكن معظم الناس لا يعرفون هذه الحقائق عن يقين كما أعرفها أنا عن أبويّ، وكما سيعرفها أولادي عن جديهما. وليس أدل على خطورة السيف المعلق على رأسي من أني رأيت "جون" خطيبي يختلس النظر إليَّ بعد أن عرف الحقيقة في شيء من الحيرة والتوجس، فكيف إذا تزوجنا، ثم حدث بيننا هذا الخصام الذي يحدث عادة بين الأزواج، ثم يرسل إليّ هذه

النظرة الزاخرة بالحيرة والتوجس؟ أقول كيف يكون موقفي إذا رأيته ينظر إليَّ وكأنما يخشى أن أقتله كما قتلت أمي أبي؟

– كيف قتل أبوك؟

– بالسم.

– آه.. إنك على حق.

– شكرًا لله على أنك أدركت حقيقة مشاعري، وأدركت لماذا يهمني هذا الأمر، ويؤثر في مستقبلي، ومن ثم لا تحاول أن تواسيني بعبارات جوفاء، أو أن تقنعني بأن هذه مسألة عفا عليها الزمن.

– إنني في الواقع مدرك تمامًا حرج مركزك يا آنسة "**لامرشان**"، ولكنني لا أعرف على وجه التحديد ماذا تريدين مني.

– أريد أن أتزوج "**جون**"، وأن أنجب منه على الأقل ولدين وبنتين. والمطلوب منك أن تجعل هذا كله ممكنا. فابتسم "**بوارو**" وقال:

– إنني تحت أمرك، ولكن كيف السبيل؟

– اسمع يا سيد "**بوارو**".. إنني أريد أن أكلفك بإعادة البحث والتحري لكشف الحقيقة عن سر مقتل أبي، ولسوف أدفع لك كل ما تريده من مال.

– ولكن.

– إنني أعرف أن جريمة القتل هي جريمة القتل، سواء وقعت اليوم أو منذ عشرين عاما.

– ولكن يا آنستي العزيزة أريد أن..

– أوه، انتظر برهة يا سيد "**بوارو**"، فإن في المسألة نقطة مهمة، ينبغي أن تعرفها.

– وما هي؟

– هي أن أمي بريئة.

– لا عجب في أن تؤمن الابنة ببراءة أمها، على الرغم من كل..

– لا.. لا، ليس للعاطفة دخل في هذا الشعور ببراءة أمي يا سيد "**بوارو**" وإنما هو خطابها هذا، لقد تركته لي قبل وفاتها، واستلمته حين بلغت الحادية والعشرين من عمري، وهي لم تكتبه إلا لغرض واحد، وهو إقناعي تماما ببراءتها. ولقد أقسمت لي فيه، وهي على فراش الموت، أنها بريئة، وأنني يجب أن أؤمن ببراءتها.

فقرأ "**بوارو**" الخطاب وأطرق برأسه مفكرا، ثم قال:

– هكذا كلهم يقولون ذلك.

– لا، لا. ليست أمي من النوع الذي يكذب ليريح ضمير الغير. إن الأطفال غالبا يتذكرون أشياء لا تكاد تخطر ببال أحد أنهم يتذكرونها، ومن بين ذكرياتي القليلة عن أمي أنها من النوع الذي لا يكذب أبداً. كان الصدق طبيعة فيها، ومن ثم فإني أتذكر أني شديدة الثقة بها وأنا طفلة، ولا أزال حتى الآن أشعر بهذه الثقة التي لا حد لها، ومن ثم إذا قالت إنها لم تقتل أبي فهي لم تقتله فعلاً. إنها ليست من النوع الذي يقسم كذبا، وهو على فراش الموت، مهما يكن السبب.

– لنفرض أن أمك بريئة حقًّا، كيف يمكن إثبات براءتها بعد أن مضى على الحادث ستة عشر عاما؟

– أنا أعرف أن الأمر من هذه الناحية جد عسير، وأعرف أيضا أنه لن يكون في وسع أحد غيرك أن يقوم بهذه المهمة. فابتسم "**بوارو**" وقال:

– إنك تبالغين في إطرائي.

– لقد سمعت عنك، سمعت أنك تستطيع أن تكشف غوامض الجريمة وأنت جالس في مكتبك بعد أن تضع أمامك كل الملابسات المحيطة بها، أي دون أن تحتاج إلى فحص أعقاب السجائر، أو قياس آثار الأقدام، ومن حسن الحظ أن جميع الذين كانوا في بيت أبي في أثناء موته لا يزالون على قيد الحياة.

– حسنا يا آنسة، لسوف أجمع الحقائق من هؤلاء الأحياء، وسأحدد مواعيد البحث والتحري، وأرجو أن أصل إلى الحقيقة. فلما نهضت وهي تشكره قاطعها قائلاً:

– إنني سأبحث عن الحقيقة أيا كانت يا آنسة "**لامرشان**" هل تفهمين؟
– نعم، إنني أريد الحقيقة الخالصة، فإذا ثبت لي يقينا أن أمي هي القاتلة..
وصمتت برهة قبل أن تردف قائلة:
– يجب أن أدفع ثمن الجريمة، وأعتزل الحياة في دير لأدعو لها بالرحمة والغفران.

- 2 -

قال مفتش البوليس "**هيل**"، وهو ينفث غليونه:
– عجبا لك يا سيد "**بوارو**"، كيف يمكنك أن تعاود البحث والتحري لكشف غموض جريمة وقعت منذ ستة عشر عاما؟
– إنني أعرف أنه أمر غير مألوف، ولكن..
– ولكن، لماذا كل هذا العناء؟
– من أجل البحث عن الحقيقة، ومن أجل "**كارلا**" ومستقبلها. إن حياتها الآن بين يدي، فإما أن أتيح لها الفرصة لأن تتزوج وتنعم بالحياة كما ينبغي، وإما أن تعتزل هذه الحياة في يسر.
– ولكن أي حقيقة تريد إثباتها بعد أن ثبتت فعلا منذ ستة عشر عاما، وصدر الحكم، ولولا الظروف المخففة لماتت "**كارولين كريل**" على حبل المشنقة؟ فقال "**بوارو**" بهدوء:
– إنني أعرف عنك يا سيد "**هيل**" أنك طول حياتك رجل مستقيم شريف جاد، وأرجو أن تخبرني بصراحة: ألم يخامرك الشك، أدنى شك في إدانة السيدة "**كريل**"؟
– مطلقا يا سيد "**بوارو**". إن جميع الأدلة، والقرائن، وأقوال الشهود تدينها.
– هل يمكن أن تخبرني بالأدلة التي توافرت على إدانتها؟
– بالتأكيد. فمنذ أن تسلمت رسالتك بخصوص هذه القضية، وأنا أراجع سجل

الجريمة، وأضع العلامات والإرشادات تحت الحقائق الواضحة.

– شكرا جزيلا يا صديقي. إني أشد ما أكون شوقا إلى سماع هذه الحقائق.

فتنحنح المفتش "**هيل**"، ثم قال في لهجة جادة:

– في تمام الساعة الثانية وخمس وأربعين دقيقة بعد ظهر اليوم الثامن عشر من شهر أيلول (سبتمبر)، اتصل الدكتور "**فورست**" تليفونيا بالمفتش "**كونوي**"، وأخبره أن المدعو "**أمياس كريل**" مات في قصره بـ"**ألدربري**"، وأن الظروف المحيطة بالوفاة كما ذكرها السيد "**فيليب بليك**" صديق المتوفى، وأحد ضيوفه تحتم وضع الأمر بين أيدي رجال البوليس، واصطحب المفتش "**كونوي**" الرقيب "**رودي**" وطبيب الصحة، وأسرعوا إلى "**ألدربري**"، وهناك مضى بهم الدكتور "**فورست**" فوراً إلى جثة المتوفى التي لم يحركها أحد من موضعها، وكان السيد "**كريل**" قبيل وفاته يرسم في حديقة صغيرة مقفلة تابعة لقصره تسمى حديقة البحر؛ لأنها تطل من مرتفع على البحر، وتقع على مسيرة أربع دقائق من القصر، ولم يكن السيد "**كريل**" قد ذهب إلى القصر ليشترك في تناول طعام الغداء مع زوجته وضيوفه، لأنه أراد أن يرسم بعض الظلال والأضواء على لوحته في تلك الساعة من النهار قبل أن تميل الشمس نحو المغيب، ومن ثم بقي بمفرده في حديقة البحر.

وكان آخر من رآه حيا هما الآنسة "**إلزا جرير**" ضيفة بالمنزل والسيد "**ميرديث بليك**" جار وصديق، وقد غادر الاثنان معا حديقة البحر إلى القصر، حيث اشتركا مع بقية الضيوف في تناول طعام الغداء. وبعد الطعام، قدمت إلى الجميع القهوة في الشرفة الكبيرة، وفرغت السيدة "**كريل**" من شرب قهوتها، وقالت إنها ستذهب إلى حديقة البحر لترى ماذا يفعل "**كريل**" زوجها، ونهضت الآنسة "**سيسيليا ويليامز**" – المربية – معها وصحبتها في الطريق إلى حديقة البحر قائلة إنها ستبحث عن الصدار الصوف الخاص بتلميذتها "**أنجيلا وارين**"، الأخت غير الشقيقة للسيدة "**كريل**"، وكانت المربية تعتقد أن "**أنجيلا**" تركت صدارها على شاطئ البحر. وسارت الاثنتان معا في الطريق المتعرج الذي تحف به الأشجار، حتى

وصلتا إلى الباب المفضي إلى حديقة البحر. ويمكنك عندئذ أن تدخل إلى الحديقة، أو تستمر في الطريق الضيق حتى تصل إلى الشاطئ. ودخلت السيدة "**كريل**" الحديقة، واستمرت الآنسة "**ويليامز**" في سيرها ، ولكنها لم تلبث أن عادت مسرعة حين سمعت صراخ السيدة "**كريل**"، ولما دخلت الحديقة بدورها رأت "**كريل**" متهالكا على المقعد الخشبي الطويل ميتا! وألحت عليها السيدة "**كريل**" أن تسرع بالعودة إلى القصر والاتصال تليفونيا، وفيما كانت الآنسة "**ويليامز**" في طريقها إلى القصر، التقت بالسيد "**ميرديث**" فعهدت إليه القيام بمهمة استدعاء الطبيب ثم أسرعت عائدة إلى السيدة "**كريل**"، وهي تشعر بأنها أحوج ما تكون إلى وجود أحد بجانبها في هذا الظرف، وحضر الدكتور "**فورست**" بعد ربع ساعة، وأدرك من أول نظرة أن "**كريل**" مات منذ فترة غير وجيزة. وقد حدد موعد الوفاة فيما بين الساعة الواحدة والساعة الثانية بعد الظهر، ولم يكن هناك ما يدل على سبب الوفاة.. لا إصابة ولا جراح ولا أثر اختناق، وعلى الرغم من هذا فقد اشتبه الدكتور "**فورست**" في سبب الوفاة لأنه يعرف أن "**كريل**" كان يتمتع بصحة جيدة، ولم يكن يشكو أي مرض أو ضعف، ولهذا قرر أن يعرف كل الظروف المحيطة بالوفاة، وعندئذ أدلى السيد "**فيليب بليك**" إلى الدكتور "**فورست**" ببعض البيانات التي جعلته يضع الأمر بين أيدي رجال البوليس. وتوقف المفتش "**هيل**" برهة، وتنفس بعمق، ثم عاد يقرأ، وكأنه يبدأ الفصل الثاني، فقال:

- وبطبيعة الحال أعاد "**فيليب بليك**" أقواله على مسمع المفتش "**كونوي**"، فقال إنه تلقى في الصباح مكالمة تليفونية من أخيه "**ميرديث بليك**" صاحب ضيعة "**هاندكروس**" الواقعة على مسافة كيلومترين ونصف الكيلومتر من قصر "**كريل**". وكان "**ميرديث**" كيميائيا هاويا، أو على الأصح أحد هواة استخراج العقاقير من النباتات الطبية. وعندما دخل "**ميرديث بليك**" في هذا الصباح إلى معمله الخاص، لاحظ بدهشة أن محتويات الزجاجة المحتوية على مادة "**الكونين** **المخدر السام**" نقصت كثيرا، على حين كانت ممتلئة تماما في اليوم السابق. ولما

أزعجته هذه الحقيقة اتصل تليفونيا بأخيه "**فيليب بليك**"، الذي كان ضيفا على "**كريل**" في قصره وأخبره بهذا الأمر، والتمس منه النصيحة فيما ينبغي أن يفعل. وطلب "**فيليب**" إلى أخيه أن يحضر فورا إلى قصر "**ألدربري**" ليتباحث معه في هذا الأمر. وقد سار هو – "**فيليب**" – ليلتقي بأخيه في الممر المؤدي إلى القصر، ثم عاد معه إلى القصر وهما يتحدثان في هذا الأمر دون أن ينتهيا إلى نتيجة، فتركاه ليستأنفا الحديث بعد طعام الغداء.

أما الحقائق التي وصل إليها المفتش "**كونوي**" بعد التحريات والأبحاث اللازمة فهي: بعد ظهر اليوم السابق على الوفاة، سار خمسة أشخاص من قصر "**ألدربري**" لزيارة السيد "**ميرديث**" في منزله بضيعة "**هاندكروس**"، وهؤلاء الخمسة هم: السيد والسيدة "**كريل**"، و"**أنجيلا وارين**"، والآنسة "**إلزا جرير**"، والسيد "**فيليب بليك**". وفي خلال الفترة التي قضوها هناك، ألقى عليهم "**ميرديث بليك**" ما يشبه المحاضرة عن طريقة استخراج مخدر "**الكونين**" من أعشاب طبية خاصة، وعن قوة مفعوله، وعن أسفه لاختفاء هذا المخدر من الصيدليات الحديثة على الرغم من أنه ثبت طبيا أن الجرعات القليلة جدًا منه تشفي من السعال الديكي والربو. وأخيراً قرأ لهم فصلا مؤثر ا عن موت "**سقراط**" بعد أن وضع في كأسه قطرات من هذا السم بالذات. ومرة أخرى توقف المفتش "**هيل**" عن القراءة. ثم راح يحشو غليونه قبل أن يبدأ في قراءة الفصل الثالث من المأساة:

– ووضع العميد "**فرير**" – مدير البوليس – هذه القضية بين يدي. وقد ثبت بعد تشريح الجثة أن الوفاة نتجت عن التسمم بعقار "**الكونين**". وذلك على الرغم من أن هذا العقار لا يكاد يترك أثرا يدل عليه في جسم الضحية، ولكن قرر هؤلاء الأطباء أن المخدر السام دس للمجني عليه قبل الوفاة بساعتين أو ثلاث، وكان أمام "**كريل**"، على منضدة صغيرة، قدح فارغ وزجاجة شراب فارغة. وثبت من تحليل البقايا الموجودة بها أنه لا يوجد لـ"**الكونين**" أثر في زجاجة الشراب، ولكن الأثر موجود في القدح الفارغ. وقد علمت من تحرياتي أنه على الرغم من وجود

زجاجات شراب وأقداح في خزانة خاصة بحديقة البحر لتكون تحت طلب السيد " **كريل** " إذا أحس بالظمأ، على الرغم من هذا، فقد ثبت أن السيدة " **كريل** " في ضحى هذا اليوم ذاته حملت زجاجة شراب من ثلاجة القصر وذهبت بها إلى زوجها، حيث كان منهمكا في رسم لوحة للآنسة "**إلزا جرير**" التي كانت جالسة على سور الحديقة، في وضع خاص للرسم. وفتحت السيدة " **كريل** " الزجاجة، وملأت منها الكأس، ووضعت الكأس في يد زوجها وهو واقف أمام لوحة الرسم. وقد شرب هو – كعادته – الكأس في جرعة واحدة، ثم بدا الامتعاض على وجهه وهو يعيد الكأس إلى المنضدة. ويقول: «كل شيء في فمي اليوم مر». وعندئذ ضحكت "**إلزا جرير**" . وقالت له: «لابد أن كبدك متعب» وأجاب هو عليها بقوله: «على كل حال هذا الشراب مثلج». وتوقف "**هيل**" عن الحديث، فقال له "**بوارو**" :

– كم كانت الساعة عندما حدث هذا؟

واستطرد المفتش "**هيل**" في حديثه عن الجريمة قائلاً:

– وظل "**كريل**" منهمكا في عمله، وقد ذكرت "**إلزا جرير**" أنه بعد فترة وجيزة من تناول الشراب، بدأ يشكو تصلب أطرافه ويقول لابد أنه موشك على المرض بالروماتيزم، ولكنه من نوع الرجال الذين يكرهون الاعتراف بأية حالة مرضية طارئة تعتريهم، ولهذا السبب ظل متحاملا على نفسه، ثم طلب من "**إلزا**" و"**ميرديث**" في ضيق أن يدعاه بمفرده ويذهبا لتناول طعام الغداء. وهكذا بقي بمفرده. وليس من شك في أنه – بعد ذهابهما – تهالك ليستريح.. ولا شك أيضا في أن الشلل العضلي قد سرى في جسده عندئذ كما قرر الأطباء. وهكذا لم يستطع أن يستنجد بأحد، وكانت النتيجة أنه مات في أثناء انشغال الجميع بطعام الغداء.

وصمت المفتش "**هيل**" كأنما يستعد لبدء الفصل الرابع من المأساة، ثم عاد يقول:

– والآن لنستعرض الحقائق التالية، التي أثبتتها التحريات الدقيقة: في اليوم السابق حدثت مشادة عنيفة بين "**إلزا جرير**" والسيدة " **كريل** " وذلك عندما

أعلنت "**إلزا**" بجرأة أنها قررت الزواج من السيد "**كريل**"، وأنه اتفق معها على هذا، وردت عليها السيدة "**كريل**" قائلة إن هذا لن يحدث، وإن السيدة "**إلزا**" واهمة فيما تزعم، وعندئذ أقبل السيد "**كريل**" إلى الغرفة، فالتفتت إليه وقالت له: «هل قررت حقًّا يا "**أمياس**" أن تتزوج بـ"**إلزا**"؟» وعندئذ بدا الاهتمام بوضوح على وجه "**بوارو**"، وقال للمفتش "**هيل**":

– وبماذا أجاب "**كريل**" عن هذا السؤال؟

– يبدو أنه استدار إلى السيدة "**إلزا**" وهتف بها غاضبا: «ماذا تقصدين بحق السماء من الإفضاء بهذا السر؟ ألا تعرفين كيف تمسكين لسانك بضعة أيام؟»

وعندئذ قالت السيدة "**كريل**" لزوجها: «إذن فقد اتفقتما على الزواج فعلا؟ فأشاح زوجها بوجهه وغمغم بكلمات غامضة. فعادت زوجته تقول له: «لماذا لا تجيب؟ أليس من حقي أن أعرف؟» فهز كتفيه وقال لها: «نعم هذه هي الحقيقة، ولكني غير مستعد للمناقشة الآن». ثم غادر الحجرة مسرعا، على حين قالت الآنسة "**إلزا جرير**" للسيدة "**كريل**" إنها تريد منها مواجهة الحقيقة بشجاعة، وإنها شخصيا ترجو أن تظل – أي السيدة "**كريل**" – صديقة لزوجها بعد طلاقها منه.

– وماذا قالت السيدة "**كريل**" عندئذ؟

– قال الشهود إنها ضحكت وقالت: «إنك لن تتزوجي بـ"**أمياس**" إلا بعد وفاتي». ثم توجهت إلى باب الغرفة، ولكن "**إلزا**" هتفت بها: «ماذا تعنين يا سيدة "**كريل**"؟» فنظرت إليها السيدة "**كريل**" قائلة: «أعني أني سأقتل "**أمياس**" قبل أن أتركه لك». وتوقف المفتش "**هيل**" عن الحديث، وقال "**بوارو**":

– اعتراف خطير، من سمع هذه العبارات؟

– كان بالغرفة مع الآنسة "**إلزا**" والسيدة "**كريل**"، السيد "**فيليب بليك**"، والآنسة "**ويليامز**" المربية، ولا شك في أن الموقف بالنسبة إليهما كان بالغ الحرج.

– وهل اتفقت شهادة كل منهما مع شهادة الآخر في هذا الموضوع؟

- نعم.. بقدر ما يمكن أن يتفق شاهدان رأيا أو سمعا شيئًا واحدًا في وقت واحد، فإن كلا منهما يصف ما رأى أو ما سمع بطريقته الخاصة. واستطرد المفتش "**هيل**" في حديثه عن المأساة فقال:

- وأمرت بإجراء تفتيش دقيق في أنحاء القصر. وقد عثرنا في غرفة نوم السيدة "**كريل**" على زجاجة فارغة من زجاجات عطر "**الياسمين**"، ولما فحصنا آثار البصمات عليها لم نجد غير بصمات السيدة "**كريل**" أما تحليل البقايا الموجودة بها فقد أثبت أن بها آثارا بسيطة لعطر "**الياسمين**"، وآثارا واضحة قوية لمحلول "**هيدروميد الكونين**".. وحذرت السيدة "**كريل**" وأطلعتها على الزجاجة، فأجابت فورا أنها كانت في حالة معنوية سيئة، وأنها قررت بعد سماعها محاضرة السيد "**ميرديث**" عن مفعول "**الكونين**" السام أن تأخذ كمية منه، فغافلت الموجودين وتسللت إلى معمله وأفرغت عطر "**الياسمين**" من زجاجة بحقيبة يدها، وملأتها من عقار "**الكونين**"، ولما سألتها لماذا فعلت هذا قالت: «إنني لا أريد أن أطيل الحديث في موضوع شخصي، ولكن يكفي القول إني تلقيت صدمة قاسية، وذلك عندما صارحني زوجي بأنه سيهجرني ليتزوج من فتاة أخرى. فإذا صح هذا، فلن أستطيع الحياة بدونه، ولهذا أخذت "**الكونين**"» فقال "**بوارو**":

- هذه إجابة مقنعة إلى حد ما.

- نعم.. ولكن هذا لا يتفق مع قولها لـ"**إلزا جرير**" إنها تفضل أن تقتل "**كريل**" على أن تعطيها إياه. ثم هناك المشادة الأخرى التي حدثت في صباح يوم الوفاة وسمع "**فيليب بليك**" طرفا منها.. وكذلك سمعت "**إلزا جرير**" طرفا آخر من هذه المشادة نفسها التي حدثت في غرفة المكتبة بالقصر بين السيد والسيدة "**كريل**"، وكانت "**إلزا**" جالسة تحت نافذة المكتبة المفتوحة وسمعت الشيء الكثير من هذه المشادة.

- وماذا سمعت هي و"**فيليب بليك**"!

- سمع "**فيليب**" السيدة "**كريل**" تقول لزوجها في غضب: «هكذا أنت دائما

مع نسائك. لشد ما أتمنى أن أقتلك، حتما سيأتي اليوم الذي أقتلك فيه».

– ألم يسمع شيئًا عن عزمها على الانتحار؟

– نعم.. لم يسمع.. مطلقا. لم يسمع مثلا أية عبارة كهذه «إذا فعلت هذا فسوف أقتل نفسي»، أما "**إلزا جرير**" فقد سمعت هذا الحوار بين الزوجين. قال "**كريل**": «كوني عاقلة يا "**كارولين**". إنني أميل إليك وأحب لك الخير دائما، أنت والطفلة بالتأكيد، ولكنني سأتزوج "**إلزا**".. وقد اتفقنا على أن يكون كل منا حرا في تصرفاته» فقالت "**كارولين**": «حسنًا. لا تزعم أنني لم أحذرك». فقال "**كريل**": «ماذا تعنين؟» فقالت "**كارولين**": «أعني أنني أحبك، ولن أسمح لأحد أن ينتزعك مني. إنني أفضل أن أقتلك على أن أدع هذه الفتاة تظفر بك».

وصمت المفتش "**هيل**" فقال "**بوارو**":

– يبدو لي أن "**إلزا جرير**" كانت حمقاء في تحديها للسيدة "**كريل**" فقد كان في وسع هذه الأخيرة أن ترفض الطلاق من زوجها "**كريل**" نهائيا. فقال المفتش "**هيل**":

– لدينا بعض الأدلة الخاصة عن هذا الموضوع، فإن السيدة "**كريل**" أفضت بآلامها كما يبدو إلى السيد "**ميرديث بليك**" وهو صديق قديم للأسرة، ويبدو أيضًا أنه شعر من أجلها بأشد الحزن، واستطاع أن يتحدث إلى "**كريل**" في الموضوع على انفراد، وأعتقد أن هذه المحادثة دارت في اليوم السابق على المأساة، وقد ذكر "**ميرديث**" لصديقه أنه سيكون حزينا أبلغ الحزن لو حدث الطلاق بين السيد والسيدة "**كريل**"، وكذلك أشار إلى فارق السن بين "**إلزا**" التي لم تكن قد تجاوزت العشرين وبين "**كريل**" الذي بلغ الأربعين، وأنه لا يليق إقحام فتاة صغيرة كهذه في قضية طلاق، وقد رد "**كريل**" على هذا بضحكة خفيفة، تدل على استهتاره التام بالعلاقات الزوجية، ثم قال: «إن "**إلزا**" لن تظهر في المحكمة عند نظر قضية الطلاق. إننا اتفقنا على طريقة ننهي بها الموضوع بغير ضجة».

– مادام الأمر كذلك، فلماذا أفشت "**إلزا**" السر وتحدت السيدة "**كريل**" في

بيتها؟

- لا أحد يعرف حقيقة ما بذهن المرأة والمهم أن الموقف كان شديد الحرج للجميع في القصر، ولست أدري كيف سمح "**كريل**" بنشوء مثل هذا الموقف بين المرأتين، إن السيد "**ميرديث بليك**" يفسر هذا بقوله: «إن "**كريل**" كان شديد الاهتمام بالصورة التي يرسمها للآنسة "**إلزا جرير**" ». فقال "**بوارو**" باسما:

- لا شك في أن الفراغ من رسم الفتاة كان أهم لديه من التعجيل بزواجهما، ولعل هذا هو السبب الذي من أجله كان يريد أن يفرغ من رسم اللوحة قبل أن تضطرب الأحوال بين الفتاة وزوجته. أما الفتاة، فإنها لم تدرك هذه الحقيقة فالحب عند المرأة يأتي دائما في المقام الأول. فقال المفتش "**هيل**" :

- كلنا نعرف هذه الحقيقة.

- ولكن الرجال يختلفون، لاسيما الفنانون منهم فإن للفن أعباءه. فقال المفتش في احتقار:

- الفن؟ ما هذا الحديث عن الفن؟ إنني لا أفهمه، وما أظن أني سأفهمه يوما، ولنأخذ مثلا هذه الصورة التي رسمها "**كريل**" للفتاة. إنها صورة غريبة عجيبة، كأنما الفتاة كانت تشكو ألما في أسنانها وهي جالسة أمامه.. أما السياج الحجري الذي كانت جالسة عليه فقد بدا غريبا أيضا. إنني حتى الآن، وبعد ستة عشر عاما لا أزال أذكر نفوري من هذه الصورة.

- إن البعض يا صديقي يرى الجمال في كل عجيب غريب.

- أيا كان الأمر، فإن الآنسة "**إلزا جرير**" هذه كانت في تلك الأيام جميلة فاتنة. ولعلها لا تزال محتفظة حتى الآن بجمالها، وبهذه المناسبة أذكر أنها تزوجت مرتين: الأولى من رحالة مغامر لا أذكر اسمه، والثانية من زوجها الحالي الأمير "**ديتشام**". وهي معروفة في الأوساط الراقية الآن باسم السيدة "**ديتشام**".

- حسنا جداً. هل أفهم من هذا أن الشاهدين الأساسيين هما "**فيليب بليك**" والآنسة "**إلزا جرير**"؟

– نعم.. كانا ضد السيدة "**كريل**" على طول الخط، وقد شهدت أيضًا المربية الآنسة "**ويليامز**" على الرغم من أنها كانت شديدة العطف على السيدة "**كريل**". إن شهادتها أساءت إلى موقف المتهمة إلى حد كبير؛ ذلك لأنها سيدة صادقة لا تقول غير الحق.

– و"**ميرديث بليك**"؟

– كان يعرب في شهادته عن حزنه وألمه، ويلوم نفسه على استخراج هذا المخدر السام في معمله، وقد لامه المحقق. وكان على الجملة نموذجا للرجل المحافظ، الذي يكره هذا اللون من المحاكمات المثيرة.

– وهل أدلت الأخت الصغرى للسيدة "**كريل**" أعني "**أنجيلا وارين**" بأقوالها في المحكمة؟

– لا، لم يكن هناك ما يدعو إلى سماع أقوالها، فإنها لم تسمع أختها وهي تهدد زوجها بالموت، ولم يكن لديها من الأقوال أكثر مما سمعناه من شهود الحادث، فقد رأت السيدة "**كريل**" وهي تأخذ الزجاجة – زجاجة الشراب – من الثلاجة. وكان في مقدرة الدفاع أن يركز جهده في هذه الناحية ويثبت أن السيدة "**كريل**" لم تعبث بمحتويات الزجاجة. ولكن هذا الدفاع لم يكن ضروريا؛ لأن ممثل الاتهام لم يدَّع أن السم كان في الزجاجة.

– إذن كيف استطاعت السيدة "**كريل**" أن تضع السم في كأس زوجها أمامه وأمام الآنسة "**إلزا**" والسيد "**ميرديث**"؟

– أولا، كان "**كريل**" منهمكا في الرسم، وكانت "**إلزا جرير**" جالسة بعيدا في وضع خاص بحيث كان ظهرها تقريبا إلى السيدة "**كريل**"، أما السيد "**ميرديث**" فكان في مكان بعيد عن الجميع.

– يبدو أن لديك الإجابة المقنعة عن كل سؤال.

– إن الأمر جد واضح يا سيد "**بوارو**"، فقد ثبت باعترافها وشهادة الشهود أولا: أنها هددت زوجها بالموت، ثانيا: أنها سرقت المادة السامة من معمل السيد

"**ميرديث**"، ثالثا: وجدت الزجاجة الفارغة التي كانت تحتوي على المادة السامة في غرفة نومها، وليس عليها غير بصمات أصابعها. رابعا: أنها هي التي حملت زجاجة الشراب إلى زوجها قبل وفاته، وقد قال في امتعاض إن كل شيء يبدو في فمه مرًّا ذلك اليوم، والعجيب في هذا الأمر أنها تهتم بحمل الشراب المثلج إليه على الرغم من الخصومة التي كانت بينهما.

– هذا في الواقع أمر يثير التساؤل والدهشة!

– نعم.. لماذا أصبحت فجأة لطيفة معه، مهتمة بأمره؟ لكي تحقق غرضها بالتأكيد. وقد رتبت الأمر لكي تكتشف الجثة بنفسها، ومن ثم أرسلت الآنسة "**ويليامز**" لاستدعاء الطبيب وذلك لكي تزيل عن الكأس والزجاجة آثار بصماتها، وتضغط بأصابع القتيل على الزجاجة. فقال "**بوارو**" في دهشة:

– نعم.. ولكن خدعتها انكشفت بسهولة. وقد جعلها ممثل الاتهام أضحوكة للجميع في المحكمة حين بين للقضاة أن وضع بصمات القتيل يدل بوضوح على أنها مفتعلة وأنه لا يمكن أن يكون قد أمسك الزجاجة في هذا الوضع إلا إذا كانت مقلوبة، وكانت هي ترجو أن توهمنا أن زوجها مات منتحرا بسبب وخز الضمير. ولكن ثبت للجميع من شهادة الشهود، وظروف حياة القتيل، أنه آخر من يفكر مجرد تفكير في الانتحار. ولما أومأ "**بوارو**" برأسه، استطرد المفتش يقول:

– هل اقتنعت الآن يا سيد "**بوارو**" بأن هذه القضية كانت واضحة منذ اللحظة الأولى؟

– تقريبا.. ولكن لا تزال هناك نقطة أو اثنتان في حاجة إلى مزيد من الإيضاح. ماذا كان يفعل المقيمون أو بقية الضيوف في ذلك الصباح؟

– لقد تحرينا عن تصرفات كل واحد منهم.. ولكني أبادر فأقول إنه في حالة وقوع جريمة قتل بالسم لا يمكن أن يكون أي إنسان قريب من مسرح الجريمة فوق الشبهات تماما، ولكن لم يكن هناك ما يدعو "**ميرديث**" إلى قتل "**كريل**".. وكذلك كان الحب يربط بين الآنسة "**إلزا جرير**" و"**كريل**".. فليس هناك ما يدعو

لقتله، وأيضا ليس هناك أي باعث لأن يقتل "**فيليب بليك**" أعز أصدقائه، وأعني به "**كريل**"، ولكننا لا ننكر أن الآنسة "**ويليامز**" لم تكن على علاقة طيبة بـ"**كريل**"؛ إذ كانت تعرب دائما عن نفورها من سلوكه مع النساء، واستهتاره المشين بالعلاقات الزوجية، ولكن نفورها هذا ما كان ليصل إلى حد ارتكابها جريمة قتله بالسم. كذلك كانت الآنسة "**أنجيلا وارين**" دائمة الشجار مع زوج أختها. ولكنها كانت صبية صغيرة على وشك الالتحاق بمدرسة داخلية.. وكانت على الرغم من شجارها الدائم مع "**كريل**" تميل إليه ويبادلها هذا الميل. والمعروف أن هذه الفتاة كانت تعامل في القصر معاملة زاخرة بالحب والعطف والتدليل؛ وذلك لأنها أصيبت على يدي أختها السيدة "**كريل**" وهي طفلة صغيرة بإصابة شوهت جانبا من وجهها وفقدت إحدى عينيها البصر؛ ولهذا كانت السيدة "**كريل**" تحاول أن تعوضها عما أصابها بالإسراف في الحب والتدليل وتلبية كل رغباتها.

– ولكن هذا لا يمنع من استمرار الفتاة في الشعور بالحقد على أختها "**كارولين**" التي كانت السبب في تشويه وجهها!

– ربما.. ولكن هل يمكن أن يدفعها هذا الحقد، إن كان موجوداً – إلى قتل "**أمياس كريل**" – إنه احتمال بعيد جداً. وأيا كان الأمر، فإن السيدة "**كريل**" قد تولت بنفسها رعاية أختها هذه غير الشقيقة بعد وفاة والديها، وأسبغت عليها من الحب والعطف الشيء الكثير، وقد شهد الجميع أن "**أنجيلا**" كانت تحب أختها أشد الحب، ولهذا أصرت السيدة "**كريل**" على أن تظل الفتاة بعيدا عن إجراءات المحاكمة وآلامها، ولكن "**أنجيلا**" كانت في أشد القلق والحزن وألحت على رؤية أختها بعد صدور الحكم، ولكن السيدة "**كريل**" رفضت بشدة أن تقابلها قائلة: «إن منظرها وهي بملابس السجن سوف يترك في نفس الفتاة الصغيرة أثرا عميقا قد يدمر حياتها، ومن ثم أرسلت بها إلى مدرسة داخلية خارج البلاد. وأردف المفتش "**هيل**" بعد برهة صمت وجيزة قائلاً:

– لقد أصبحت الآنسة "**وارين**" الآن، أي بعد ستة عشر عاما، شخصية مشهورة

بعد أن قامت برحلات كثيرة إلى مناطق الآثار. وبعد أن ألقت المحاضرات في الجمعية الجغرافية الملكية، وجعلت لنفسها اسما لامعا في الكتابة للصحف والمجلات.

– ولم يعد أحد يذكر المحاكمة؟

– ولماذا يذكرونها؟ إن الآنسة "**وارين**" لا تحمل اسم والد "**كارولين**"، فقد كانتا أختين غير شقيقتين، من أم واحدة وأبوين مختلفين.. إن اسم والد "**كارولين**" هو "**وارين سبالدنج**".

– وأين كانت ابنة "**كريل**" من زوجته "**كارولين**" عند وقوع المأساة؟

– كانت مع مربيتها الخاصة في زيارة لجدتها السيدة "**تريسليان**" وكانت سيدة أرملة فقدت ابنتها، وأصبحت شديدة التعلق بحفيدتها الصغيرة. ولما أومأ "**بوارو**" برأسه، استطرد المفتش "**هيل**" يقول:

– أما عن تصرفات الموجودين في القصر يوم المأساة، فيمكنني أن أقدم إليك تقريرا كاملا دقيقا. فالآنسة "**إلزا جرير**" كانت – بعد الفطور – جالسة في الشرفة الواسعة تحت نافذة غرفة المكتبة مباشرة، وهناك – كما سبق القول – سمعت المشاجرة التي وقعت بين "**كريل**" وزوجته، وبعد ذلك صحبته إلى حديقة البحر حيث جلست أمامه على السور الحجري في الوضع المطلوب للرسم. وظل "**كريل**" يعمل في الصورة حتى موعد الغداء دون أن يستريح إلا مرتين فقط للتخفيف عن عضلاته.. أما "**فيليب بليك**" فكان – بعد الفطور – في القصر، وقد سمع أيضا طرفا من المشاجرة التي وقعت بين الزوجين، وبعد انصراف "**كريل**" و"**إلزا جرير**" إلى حديقة البحر، جلس في الشرفة يقرأ صحيفة الصباح إلى أن اتصل به أخوه "**ميرديث**" تليفونيا وأبلغه نبأ اختفاء كمية من سم "**الكونين**"، ومن ثم ذهب ليقابل أخاه عند شاطئ البحر، ثم سار معه في طريق العودة إلى القصر، في الممر الصاعد المتعرج، وقد مرا في طريقهما بجانب سور حديقة البحر، وكانت الآنسة "**إلزا جرير**" قد تركت مكانها، وذهبت إلى القصر لتحضر سترة من الصوف

تضعها على كتفيها في أثناء جلوسها أمام الرسام، وقد سمع الشقيقان – وهما يمران بجوار سور الحديقة – حديثا يجري بين السيد "**كريل**" وزوجته وكان يبدو أنهما يتناقشان في موضوع ترحيل "**أنجيلا وارين**" إلى المدرسة. وعندئذ قاطعه "**بوارو**" قائلاً:

– آه.. إذن كانت محادثة هادئة؟

– لا.. لم تكن هادئة بأية حال، فقد كان "**كريل**" يصيح في حديثه. ويبدو أنه كان ممتعضا لأن زوجته قطعت عليه عمله في اللوحة بشؤونها المنزلية الخاصة. وأومأ "**بوارو**" برأسه، بينما استطرد "**هيل**" قائلاً:

– وتبادل الشقيقان الحديث برهة وجيزة مع "**كريل**".. ثم حضرت السيدة "**إلزا جرير**" بالسترة الصوفية، وجلست في الوضع المناسب للرسم، وعندئذ تناول "**كريل**" فرشاته واستأنف عمله مقطب الجبين، وأدرك الشقيقان أنه ليس لهما مجال في حديقة البحر، فغادراها إلى القصر. وبهذه المناسبة أذكر أن "**كريل**" شكا سخونة الشراب الموجود في حديقة البحر في أثناء وجود الشقيقين والسيدة "**كريل**" معه.. وقد وعدته السيدة "**كريل**" بأن تأتي بزجاجة مثلجة من الثلاجة الموجودة بالقصر.

– هكذا؟

– نعم.. هكذا كانت حتى آخر لحظة تعامله بنعومة الأفعى. هذا هو رأيي الخاص، وعلى كل حال، فقد جلس الشقيقان في شرفة القصر حيث أحضرت لهما "**أنجيلا وارين**" زجاجات الشراب المثلجة مع الأقداح، وبعد أن شربا كفايتهما ذهبت "**أنجيلا**" مع "**فيليب بليك**" للسباحة ومضى "**ميرديث**" إلى مكان مكشوف يشرف على حديقة البحر، فجلس فيه، وكان يستطيع من مكانه هذا أن يرى "**إلزا جرير**" وهي جالسة على السور الحجري، وأن يسمع حديثها مع "**كريل**".. وقد ظل جالسا في موضعه ذاك يفكر في كمية "**الكونين**" المسروقة من معمله، وكان شديد القلق لهذا السبب، ولا يدري ماذا ينبغي أن يفعل، ورأته

"**إلزا جرير**" من مكانها، ولوحت له بيدها، ولما دق الجرس معلنا موعد الغداء، هبط من مكانه إلى حديقة البحر وغادرها مع "**إلزا**" إلى القصر، وهو يذكر بهذه المناسبة أنه رأى "**كريل**" في حالة غريبة.. ولكنه لم يهتم بالأمر؛ لأنه كان يعرف أن "**كريل**" من النوع الذي يكره الاعتراف بأي مرض، كما كان يعرف أنه متقلب المزاج.. أما عن بقية الموجودين، فقد كان الخدم مشغولين طوال فترة الصباح بأعمالهم داخل القصر، وكانت الآنسة "**ويليامز**" قد أمضت فترة طويلة من الصباح متجولة في الحديقة الواسعة، أو متسلقة الأشجار، أو أي شيء من هذا القبيل. وتوقف المفتش "**هيل**" أخيرًا عن الحديث، ثم قال فجأة:

ـ والآن. هل تجد في تصرفات أحد من الموجودين في القصر ما يثير الاشتباه أو الشك؟

ـ لا.. مطلقًا.

ـ حسنًا.. هل لديك أي شك الآن في إدانة السيدة "**كريل**"؟

ـ إنني لا أدري على وجه التحديد، ولكني سأحاول أن أزداد اقتناعا.

ـ ماذا تنوي أن تفعل؟

ـ سأزور الأشخاص الخمسة الذين كانوا موجودين مع السيد والسيدة "**كريل**" يوم المأساة وسأحاول أن أظفر بأقوال كل منهم على حدة بشأن هذه الجريمة.

ـ وهل تعتقد أن أقوالهم ستتفق مع بعضها البعض بعد كل هذه السنوات؟ وهل تعرف هذه الحقيقة البديهية، وهي أن أقوال شهود الحادث الواحد تختلف عادة باختلاف أمزجتهم وطباعهم؟

ـ ولكن الحقائق الأساسية تبقى ثابتة في أقوالهم المختلفة.

ـ أخشى أن تحصل في النهاية على خمسة تقارير لخمس جرائم.

ـ إن هذا هو ما أعتمد عليه في الوصول إلى الحقيقة، فإن اصطدام هذه الأقوال هو الذي سيطلق الشرارة التي تضيء أمامي السبيل.

وقبل أن ينصرف "**بوارو**"، قال المفتش "**هيل**" كأنما تذكر شيئًا:

– وبهذه المناسبة نسيت أن أخبرك أننا عرفنا أيضًا الوسيلة التي نقلت بها "**كارولين**" السم من الزجاجة إلى كأس زوجها.

– وما هي؟

– قلم حبر، وقطارة تستخدم في ملء القلم الحبر، عثرنا عليهما في الممر المتعرج محطمين، بعد أن داستهما عشرات الأقدام.

- 3 -

وبدأ "**بوارو**" تحرياته بزيارة "**فيليب بليك**"، وكان "**فيليب**" قد أصبح في خلال هذه السنوات الست عشرة رجل أعمال ناجحا، وسمسارا كبيرًا في بورصة الأوراق المالية. وكان في مظهره قصير القامة، يميل إلى البدانة، مكتنز الوجه، ماكر النظرات. وقد حرص "**بوارو**" على أن يخفي عنه الغرض من زيارته، وإنما ذكر له أنه مندوب من شركة كبيرة للنشر لجمع الحقائق – الخاصة – عن الجرائم الكبرى التي هزّت الرأي العام خلال العشرين سنة الماضية، وذلك لنشرها في مجلد خاص. وقطب "**فيليب**" جبينه في دهشة وقال:

– يا للسماء.. لماذا يعمد الناشرون إلى نبش الماضي؛ لإعادته إلى أذهان الناس؟

فهز "**بوارو**" كتفيه وقال:

– هذه هي طبيعة القراء.. إنهم يحبون هذه الألوان من القراءات المثيرة.

– إنني شخصيا لا أجد أي مانع في الحديث عن ذكريات الماضي.. فماذا تريد أن تعرف؟

– أرجو أن تحدثني بكل ما تعرف عن مأساة الرسام "**أمياس كريل**"، فكلنا نعلم أنه كان من أعز أصدقائك. فصمت "**فيليب**" برهة ثم قال:

– لقد أصبحت هذه المأساة ملكا للرأي العام منذ وقوعها، وأعتقد أن أحداثها والظروف المحيطة بها معروفة للجميع، ولاسيما في سجلات البوليس.

– ولكنني أرجو أن أعرف رأيك الخاص في هذه المأساة وتأثيرها في نفسك.

– آه! تتحدث عن تأثيرها في نفسي؟ لقد كان تأثيرها قاسيًا رهيبا.. يكفي أن تعلم أنه كان في مقدرتي أن أنقذ صديقي "**كريل**" من الموت لو أني تصرفت بسرعة وحكمة عندما أخبرني أخي "**ميرديث**" عن اختفاء كمية من سم "**الكونين**" من معمله.

– هل كان هذا في مقدرتك حقًّا أم أنك تبالغ في الشعور بوخز الضمير؟

– اسمع.. افترض أنك تعرف الحقائق الأساسية عن هذه المأساة بعد أن قرأت ما كتب عنها في حينها.

ولما أومأ "**بوارو**" برأسه، أردف "**فيليب بليك**" قائلا:

– حسنا.. عندما أخبرني أخي "**ميرديث**" باختفاء كمية من سم "**الكونين**" من معمله، كان في حالة نفسية بالغة السوء، ومع ذلك. لم أتصرف بالسرعة الواجبة.. وإنما أرجأت مناقشة هذا الأمر إلى ما بعد الظهر.. ولكن المأساة وقعت بعد تناول الطعام مباشرة، أعني أننا اكتشفنا وقوعها بعد أن فرغنا من طعام الغداء. ولو أني أحسنت التفكير والتصرف؛ لأدركت فورا أن "**كارولين**" هي السارقة لكمية سم "**الكونين**"، ولعملت على تحذير "**إلزا**" و"**كريل**".. نعم كان ينبغي أن أذهب فورا إليهما وأخبرهما أن "**كارولين**" تريد بهما شرًّا ليكونا على حذر.

ونهض "**بليك**" وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا في انفعال ثم استطرد يقول:

– أتظن يا رجل أنني لم أتعذب أشد العذاب كلما فكرت في سوء تصرفي؟ لقد كنت أعلم، أو كان ينبغي أن أعلم بداهة أن "**كارولين**" هي التي اختلست كمية السم، وكانت الفرصة أمامي سانحة لإنقاذ صديقي من الموت، ولكنني أهملت وتهاونت. لماذا لم أدرك منذ اللحظة الأولى أن "**كارولين**"، في ثورة غضبها وانفعالها بسبب معاملة زوجها لها، سوف تنتهز أول فرصة للقضاء عليه بعد أن حصلت على السم! لماذا تهاونت؟ كان في وسعي أن أذهب إلى "**أمياس**" لأحذره، وكان في وسعي أن أذهب إليها هي.. إلى "**كارولين**"، وأن أقول لها: «إنني

أعرف ماذا تنوين أن تفعلي. إنني أعرف أنك اختلست كمية من السم من معمل أخي، فإذا مات "**أمياس**" مسمماً بـ"**الكونين**"، فثقي بأنك ستموتين على حبل المشنقة». نعم إن كلمات كهذه كانت كفيلة بوقفها عند حدها.. وكذلك كان في مقدوري أن أتصل برجال البوليس، نعم، كانت أمامي وسائل كثيرة لإنقاذ صديقي، ولكنني بدلا من اتخاذها تركت "**ميرديث**" يؤثر في نفسي بحديثه الهادئ، وطريقته البطيئة؛ إذ قال: «يجب أولا يا "**فيليب**" أن نعرف ونتأكد من هو الذي اختلس "**الكونين**" قبل أن نلقي بالتهم جزافا». نعم هكذا هو "**ميرديث**" دائما بطيء التفكير، بطيء الحركة، متردد، حمدا لله لأنه الأخ الأكبر الذي ورث الضيعة والقصر، وإلا لمات جوعا، فإنه آخر من يصلح للنجاح في الحياة.

وقال "**بوارو**" بهدوء:

– إذن لم يكن لديك أدنى شك في سارقة السم؟

– نعم، لم يكن لدي أدنى شك، لقد عرفت فورا أنها "**كارولين**"، نعم، فأنا أكثر الناس معرفة بحقيقة أمرها.

– هذا شيء مثير للفضول يا سيد "**بليك**"، أي نوع من النساء كانت هي؟

– هل تريد حقا أن تعرف كل شيء عنها؟

– جداً.

– كانت "**كارولين**" امرأة سوء. لم أر في حياتي امرأة أسوأ منها، نعم، لا أنكر أنها كانت موفورة الجاذبية والجمال، وأنها كانت تتمتع بهذه الرقة التي تخدع الناس في حقيقة أمرها، نعم، كانت لها هذه النظرة الناعمة، المستسلمة، الوادعة، التي تثير في قلب الرجل عوامل النخوة والشهامة والفروسية. لقد قرأت في كتب التاريخ عن الملكة "**ماري**" ملكة الاسكتلنديين.. أنها كانت جذابة، جميلة، سيئة الحظ، ولكنها في الواقع ذكية، مدبرة، ماكرة، عرفت كيف تضع الخطة للقضاء على الأمير "**دارنلي**" دون أن تثير حولها الشبهات، وهكذا كانت "**كارولين**" جذابة جميلة، تبدو وادعة، ولكن لها في الواقع نفسية القاتل، وطباع

الوحش.

وصمت "**فيليب**" برهة قبل أن يستطرد قائلا:

– إنني لا أدري هل علمت بهذه الحقيقة أم لا، فإنها لم تكن ذات أهمية كبيرة في أثناء المحاكمة، ولكنها في رأيي ذات دلالة أكيدة على حقيقة أخلاق هذه المرأة. وأعني بهذه الحقيقة ما فعلته بأختها الصغرى "**أنجيلا وارين**". إنها الغيرة العمياء. لقد تزوجت أم "**كارولين**" مرة أخرى، وأنجبت من زوجها الجديد "**أنجيلا**"، وكان طبيعيا أن تركز الأم معظم عواطفها وحنانها في الطفلة الصغيرة، ولكن "**كارولين**" لم تحتمل هذا، ملأت الغيرة قلبها من أختها الطفلة، فحاولت أن تقتلها بقضيب من الحديد. ضربتها على رأسها، ولكن الضربة لم تقتل الطفلة وإنما شوهت جانب وجهها، وأفقدت إحدى عينيها البصر، فهل هناك أبشع من هذا؟

– لا، مطلقا.

– قد يبدو أنها – بسبب هذا الحادث مع أختها – امرأة متهورة، مندفعة، ولكنها في الواقع شديدة المكر قادرة على التدبير والتآمر، فبعد وفاة والديها، جاءت للإقامة– وهي فتاة في سن الزواج– في قصر "**ألدربري**" مع آل "**كريل**" الذين يمتون إليها بصلات من القرابة البعيدة. وفي أثناء هذه الفترة التي أمضتها معهم قبل الزواج، راحت تعجم أعوادنا جميعا، نحن شباب المنطقة. ولم تفكر هي في الزواج مني قط؛ لأني كنت يومذاك فقيرا بعد أن آلت الثروة إلى أخي "**ميرديث**". وكانت هي أيضا فقيرة، ومن ثم رأت أن من المستحيل عليها أن تجمع بين فقري وفقرها. ومن العجيب بل الطريف أنني الآن أوسع الجميع – جميع زملائي وأقاربي – ثراء، وحسنا، وفكرت في الزواج من "**ميرديث**"، ولكنها لم تلبث أن ألقت بشباكها على "**أمياس كريل**"، فقد كان المعروف أن **أمياس**" هو الوريث الوحيد لقصر "**ألدربري**" والضيعة المحيطة به. وقد أدركت بذكائها أنه فنان موهوب، وأن المال سيجري بين يديه أنهارا بعد أن يدرك الناس حقيقة موهبته كرسام نابغ. وقد صدق حدسها، وذاعت شهرة "**أمياس**"، وجرى المال بين يديه، وأصبح من أكبر الرسامين

في عصره.. هل رأيت لوحاته؟ إن لدي واحدة منها، تعال وانظر إليها.

ثم تقدمه إلى قاعة المائدة، حيث أشار إلى لوحة كبيرة معلقة على الجدار الأيسر، وقال:

– هذه بريشة "**أمياس**".

ونظر "**بوارو**" في صمت ودهشة. كانت اللوحة تصور وعاء أزهار فوق منضدة من خشب الجوز اللامع والأزهار تبدو متوهجة بالحياة والنضارة، وكان الخشب المصقول اللامع يكاد يهتز كلما أمعن الإنسان في النظر إليه، وتنهد "**بوارو**" وقال:

– نعم.. إن لمسة العبقرية واضحة في هذه اللوحة.

وعاد "**فيليب بليك**" بضيفه إلى الشرفة، حيث غمغم قائلا:

– إنني لا أفهم شيئا عن الفن، ولكن أشعر بأن رسومات "**كريل**" تمتاز بشيء غامض مثير تجعل من يراها مرة لا ينساها أبدا.

ثم أردف قائلا بعد أن قدم إلى ضيفه لفافة تبغ:

– هذا هو العبقري الفنان الذي قتلته زوجته، وهو في أوج الحياة والمجد والشهرة. ولعلك تعتقد أنني متحامل على "**كارولين**". ربما، ولكنني أؤكد لك أن هذه المرأة، على الرغم من جمالها وجاذبيتها، كانت الشر بعينه. كانت تجمع بين القسوة والطمع والميل الغريزي إلى الشر.

– ولكنني سمعت يا سيد "**فيليب**" أنها تحملت الشيء الكثير من نزوات زوجها واستهتاره الدائم بالعلاقات الزوجية..

– نعم، كانت جد حريصة على أن تجعل كل الناس يعتقدون أنها الضحية البريئة لخيانات زوجها. ولكن الحقيقة هي أن الحياة الزوجية كانت سلسلة متصلة من المشاجرات والخصومات والمنازعات، ولكن المسكين كان يفر من هذا الجحيم إلى فنه. كان يعيش فيه من أجله، وكان هذا كله يثقل على "**كريل**". فقد كان كفنان يحب الهدوء والحياة الرياضية. وأعتقد أنه أخطأ بالزواج. فإن رجلا مثله كان ينبغي أن يعيش حرا من القيود الزوجية.

– هل كنت تعرف علاقته بالآنسة "**إلزا جرير**" ؟

– نعم، أخبرني ذات يوم أنه تعرف إلى فتاة مدهشة تختلف عن كل اللاتي تعرف إليهن من قبل، وقد سخرت في نفسي من حديثه هذا، فقد كان يقول عن كل فتاة أو امرأة يتعرف إليها إنها مدهشة وتختلف عن الجميع، ثم لا يلبث أن يضيق بها ويهرب منها. ولكن حين رأيت "**إلزا جرير**" في قصر "**ألدربري**"، أدركت أن الأمر في هذه المرة جد خطير، فقد كان الواضح للجميع أن المسكين غارق في حبها إلى أذنيه، وأن هذه اللعينة عرفت كيف تأسره.

– كأنك لم تكن راضيا عن "**إلزا**" أيضا.

– لا. لم أشعر بأي ميل نحوها. فقد كانت هي أيضا تريد أن تستحوذ عليه تماما روحا وجسدا، ولكني مع هذا كنت أعتقد أنها ستكون– كزوجة– أفضل من "**كارولين**"، على أني في الواقع كنت أفضل لو أن "**كريل**" عاش بعيدا عن شباك النساء.

– ولكن يبدو أنه كان مفتونا بهن.

– نعم، كان الأحمق لا يكاد ينجو من مغامرة عاطفية حتى يقع في أخرى، ولكن يبدو أن المرأتين اللتين كانا لهما أكبر الأثر في حياته، هما "**كارولين**" و"**إلزا جرير**"..

– وهل كان محبا لأخت زوجته "**أنجيلا**"؟

– أعتقد هذا، فقد كانت الفتاة دائما لطيفة ومرحة، ولكنها أحيانا كانت تتمادى في عبثها معه، فيقسو عليها، وعندئذ تتدخل "**كارولين**" وتقف في صف أختها ضده، وكان هذا الموقف من "**كارولين**" يزيد من غضبه على "**أنجيلا**"، بل ومن غيرته أيضا، كان يعتقد أن زوجته تفضل أختها عليه، وتوليها من الحب أكثر مما توليه، وكانت "**أنجيلا**" في الوقت نفسه تغار من "**أمياس**" وتحاول أن تظفر بقلب أختها. وقد قرر هو أن تذهب إلى مدرسة داخلية في ذلك الخريف، وأصر على تنفيذ قراره، وثارت هي بشدة على هذا القرار، لا لأنها تكره الذهاب إلى

المدرسة، وإنما للطريقة الاستبدادية التي اتخذ بها "**أمياس**" هذا القرار. والواقع أنه، من هذه الناحية، كان على حق فقد تعودت "**أنجيلا**" كلما غضبت منه أن تتمادى في معاتبته.

وذات مرة وضعت في سريره عشر خنافس. نعم لقد كان الأوان قد حان فعلا لإلحاقها بإحدى المدارس الثانوية.

– وهل كان يحب ابنته الطفلة "**كارلا**"؟

– أشد الحب.. كان يحبها ويداعبها ويستمتع باللعب معها كلما شعر بالضيق أو الاكتئاب، ولكن عاطفته نحوها ما كانت لتمنعه من الزواج بـ"**إلزا**"، إذا كان هذا هو قصدك من السؤال. إنه – في رأيي – لم يكن يحب ابنته هذا الحب الذي يجعله يضحي بسعادته الخاصة من أجلها.

– وهل كانت "**كارولين**" متفانية في حب ابنتها "**كارلا**"؟

– لا أستطيع أن أقول إنها لم تكن أمًّا مثالية، نعم لا أستطيع أن أزعم هذا، ولعل أشد ما آلمني في هذه المأساة هو موقف هذه الابنة المسكينة التي فقدت أمها وأباها في وقت واحد، وفي مثل هذه الظروف، لقد أرسلوا بها إلى ابنة عم أبيها في "**كندا**". وأنا أرجو أن يكونوا هناك قد أخفوا عنها هذه المأساة.

– حسنا يا سيد "**بليك**". إنني سألتمس منك شيئا أرجو أن تحققه.. إنني أرجو أن تكتب إليَّ كل ما تعرفه أو تذكره عن تفاصيل هذه المأساة.

– ولكنني يا سيد "**بوارو**" لا أستطيع أن أتذكر التفاصيل بدقة، بعد كل هذه السنوات.

– أعتقد أنك حين تبدأ في الكتابة، ستجد نفسك قد تذكرت كل شيء تقريبا.

– عجبا!

– هذه هي إحدى عجائب الذاكرة، فإنك حين تثيرها تفتح لك أبواب خزائنها وتطلق من الذكريات ما سوف تدهش له.

– ولكنني رجل كثير المشاغل..

– إنني مستعد يا سيد "**بليك**" أن أدفع الأجر المطلوب.

– ذكرياتي عن المأساة بدون مقابل، بشرط ألا تنشر شيئا من أقوالي بغير إذن مني.

– أتعهد لك بهذا، وأقدم إليك جزيل الشكر.

حرص "**هركيول بوارو**" على أن يتزود بخطاب توصية من صديقته السيدة "**ماري ليتون**" إلى السيد "**ميرديث بليك**". عندما ذهب لزيارته في ضيعة "**هاندكروس**" استقبله "**ميرديث**" في أول الأمر بشيء من الارتباك والاضطراب ولكنه ما كاد يطلع على خطاب السيدة "**ماري**" حتى استرد رباطة جأشه، وراح يتناول مع "**بوارو**" الحديث عن السيدة "**ماري**"، وعن الصيد والقنص في الريف، وعن هواية سباق الأرانب والكلاب. وقد بدا "**ميرديث**" أنموذجا لأعيان الأقاليم المحافظين..

ولما حدثه "**بوارو**" عن رغبة "دار النشر" في الحصول على بعض المعلومات الخاصة من الأشخاص الأحياء الذين شهدوا مأساة الرسام "**أمياس كريل**" قال "**ميرديث**" في عنف وهو يحشو غليونه:

– أليس من الوحشية الآدمية نبش مثل هذه المأساة التي عفا عليها الزمن؟

فهز "**بوارو**" كتفيه وقال:

– إنني أتفق معك في هذا، ولكنها رغبة القراء. إنهم يحبون هذا اللون من الأحداث الحقيقية الواقعية.

– إنني مصرٌّ على أن هذا أمر شائن.

فقال "**بوارو**" في صوت رقيق:

– نعم، ولكننا في هذا الكتاب سنحاول بقدر الإمكان أن نبين للقراء الظروف التي أحاطت بالحادث وأدت إليه. إن "**كارلا كريل**" شديدة الاهتمام بهذا الأمر وتعتقد أن مثل هذا الكتاب قد يخفف شعور الرأي العام نحو أمها.

– أوه "**كارلا**".. "**كارلا**" الصغيرة. لا شك في أنها أصبحت الآن شابة.

– نعم، فإن السنين تمر بسرعة.

فتنهد "**ميرديث**" وقال:

– بأسرع مما يظن الإنسان.

– وأهم من هذا كله أن "**كارلا**" تريد أيضا أن تعرف حقيقة المأساة من أقوال الذين عاصروها، وذلك لأنها غير مطمئنة إلى تحريات البوليس وأقوال بعض الشهود. إنها تريد أن تعرف كل شيء عن أمها وأبيها من أولئك الذين كانوا أقرب الناس إليها عند وقوع المأساة.

– نعم، نعم، لا شك في أن هذه المسكينة فجعت حين علمت بمأساة أبويها، ولا شك في أن فجيعتها تضاعفت حين اطلعت على تفاصيل المأساة من سجلات البوليس الجافة الخالية من أية عاطفة.

– هذا تماما ما تريده "**كارلا**"، وما نريده نحن، العواطف والمشاعر والانفعالات والتأثيرات التي تتفاعل في جو المأساة قبيل وقوعها.

وصمت "**بوارو**" فجأة، وبدأ "**ميرديث**" يتحدث في اهتمام، وقد أخذت الذكريات تتزاحم في ذهنه.

– لقد كان "**أمياس**" صديقا لنا منذ الطفولة.. وكانت أسرته ترتبط بوشائج الجوار والصداقة مع أسرتنا منذ أجيال عديدة، ولكن لا يسع الإنسان إلا أن يعترف بأن تصرفاته كانت.. مخجلة ومثيرة، ولعل هذا يرجع إلى مزاجه الفني، فإنه يقال إن للفنانين أهواء ونزعات خاصة، غير طبيعية. ولكن لكل شيء حدودا. وما أظن أن هناك إنسانا يحترم نفسه يرضى أن يأتي بعشيقته إلى بيت الزوجية، ويواجه بها زوجته، بل ويتحداها هكذا علنا أمام الأصدقاء والجيران.

– يسرني أن أسمع منك هذا يا سيد "**بليك**"، فالواقع أنه لا يوجد إنسان كريم مهذب يقبل مثل هذا الوضع، أو يخلق مثل هذا الموقف بين الزوجة والعشيقة.

وتردد "**ميرديث**" برهة، ثم إذا بوجهه يشرق بابتسامة غامضة وهو يقول:

– نعم، نعم. ولكن المهم في الموضوع هو أن "**أمياس**" لم يكن إنسانا عاديا أو

طبيعيا، وإنما كان رساما . . فنانا وكان فنه يحتل من حياته ومشاعره المقام الأول.

كان في أثناء استغراقه في رسم لوحة جديدة، كرجل يعيش في حلم، في عالم آخر ليس له صلة بعالمنا هذا. حتى إذا فرغ منها أو كاد، بدأ يلتقط خيوط الحياة العادية مرة أخرى . .

ونظر "**ميرديث**" في تساؤل إلى "**بوارو**" الذي هز رأسه موافقا، وعندئذ استطرد يقول:

– إني أرى أنك تدرك ما أعني. حسنا لعل هذا يفسر شذوذ بعض تصرفاته، ولاسيما هذا التصرف الذي جعله يجمع بين حبيبته وزوجته في مكان واحد، لقد كان يحب "**إلزا جرير**" حقا، وكان على استعداد لأن يطلق زوجته، ويحرم نفسه ابنته؛ ليتزوج بها، ولكن كان قد بدأ يرسمها هنا وهي جالسة على سور حديقة البحر، وقد أراد أن يفرغ من رسم هذه اللوحه ومن ثم لم يكن يهمه شيء . . أي يمكن القول إنه لم يكن شاعرا تماما بالموقف الحرج الناشئ عن وجود الحبيبة والزوجة تحت سقف بيت واحد، أعتقد أن هذا هو العذر الوحيد الذي يمكن أن يلتمسه الإنسان لمثل هذا التصرف الشاذ.

– وهل كانت كل منهما تدرك حقيقة شعوره من هذه الناحية ؟

– أعتقد أن "**إلزا**" كانت مدركة هذه الحقيقة. والواقع أنها كانت شديدة الإعجاب به كفنان، فضلا عن حبها العميق له كرجل. ولعل هذا الإعجاب، وهذا الحب، كانا من الأسباب التي جعلتها تحتمل أحرج المواقف بشجاعة، بل بجرأة تبلغ حد . . التهور.

– ماذا عن "**كارولين**" ؟

– "**كارولين**" . . آه، لقد كنت دائما أشعر بالميل إليها، وقد داعبني الأمل يوما بالزواج بها، ولكن سرعان ما تلاشى هذا الأمل، ومع ذلك فقد بقيت– إذا جاز لي أن أقول هذا – محبا لها، واضعا نفسي في خدمتها.

وأومأ "**بوارو**" برأسه في فهم وإدراك. لقد كان يعلم أن مثل هذا الرجل المحافظ إذا

أحب فإنه يحب بشرف، ويتفانى فيمن يحب إلى حد التضحية دون انتظار لشكر أو جزاء. وقال وهو يزن كلماته بعناية:

– إذن لا شك في أنك لم تكن راضيا عن تصرفات "**كريل**" معها.

– نعم. وقد تحدثت إليه بشأن هذه الفتاة "**إلزا جرير**".

– متى؟

– في اليوم السابق على المأساة. حضروا هنا جميعا لشرب الشاي، ومن ثم انفردت بـ"**كريل**"، وقلت له إنه بهذا التصرف يسيء إلى كل من "**كارولين**" و"**إلزا**"، وإنه إذا كان ينوي الزواج بالفتاة، فليس هناك ما يدعوه إلى إحراج "**كارولين**" وتحديها هكذا علنا، فليست هناك زوجة تستطيع أن تحتمل مثل هذا الموقف.

– وماذا كانت إجابته؟

– قال إن على "**كارولين**" أن تحتمل رغما عنها.

– لا شك في أنها إجابة خالية من كل عطف وإشفاق.

– نعم، ولهذا لم أستطع أن أتمالك زمام أعصابي، فعنفته بشدة قائلا إن الواجب عليه أن يجنب زوجته هذا الهوان حتى ولو كان لا يحبها، وأنه لو كان يحب "**إلزا**" حقا لما عرضها لمثل هذا الموقف الحرج، فأجاب قائلا إن على "**إلزا**" أيضا أن تحتمل هذا الموقف رغما عنها، ثم استطرد في حديثه معي فقال إن تلك اللوحة التي يعمل بها هي خير إنتاجه الفني كله، وإنه لا يسمح لأية امرأة في الدنيا أن تحول بينه وبين إتمامها، فقلت له إن الرسم ليس كل شيء في الدنيا، فقاطعني قائلا إنه بالنسبة إليه، يعتبر كل شيء، فذكرت له أن "**كارولين**" تتعذب كثيرا بسبب نزواته وشذوذ تصرفاته وكثرة علاقاته مع النساء، وأن هذا لا يليق برجل يحترم نفسه..

فتحت ذاكرته أبواب الذكريات على مصاريعها، فراح يقول:

– كان ينبغي أن أرتاب في الأمر، فقد كانت "**كارولين**" هي التي وجهت

الحديث إلي.. إلى هوايتي في استخراج العقاقير من النباتات الطبية، وكانت النتيجة أنني تحدثت إلى الضيوف عن هذه الهواية، وعن بعض الخرافات الخاصة التي تحتم على الهاوي أن يلتقط بعض الأعشاب الطبية في ضوء القمر، ثم تحولت في حديثي إلى نبات "**الهملوك**" الذي يستخرج منه مخدر "**الكونين**" السام.

– هل كان حديثك هذا في غرفة المعمل؟

– نعم، كنت أتحدث وأشرح حديثي بالإشارة إلى مختلف العقاقير والمركبات والمستخرجات، وأذكر أنني حدثتهم عن عقار "**الفاليريان**" الذي تجذب رائحته القطط، وتحدثت إليهم عن طريقة استخراج البلادونا والأتروبين.. وقد بدا الاهتمام على وجوههم جميعا في أثناء حديثي.

– جميعا؟

– نعم.. جميعا: "**فيليب**" و"**أمياس**" و"**كارولين**" و"**أنجيلا**" و"**إلزا جرير**"..

– ألم يكن هناك أحد آخر؟! كالمربية الآنسة "**ويليامز**" مثلا؟

– لا، لم تكن الآنسة "**ويليامز**" معنا. إنها مربية تعرف كيف تؤدي واجبها، وأعتقد أن "**أنجيلا**" كانت تثير قلقها كثيرا.

– لماذا؟

– لأنها كانت مشغوفة بالعبث وتدبير "المقالب" والتمادي في المداعبات الثقيلة، فقد وضعت ذات يوم خنفساء في قفا "**أمياس**" وهو منهمك في رسم لوحة مهمة، وأذكر أنه ثار وأرعد وقرر أن يلحقها بالمدرسة، ليس لأنه كان يكرهها، وإنما لأنها كانت تميل إلى الشغب والإثارة، وأعتقد أنه أيضا كان يغار منها ومن مكانتها الرفيعة في قلب "**كارولين**" زوجته، وكانت "**كارولين**" شديدة الحب والعطف على أختها لأن..

فقاطعه "**بوارو**" قائلا:

– لأنها كانت السبب في تشويه جانب من وجه الفتاة فأرادت أن تعوضها بالحب والحنان.

– آه.. أتعرف هذا؟ حسنا. لقد كانت "**كارولين**" تشعر دائما بوخز الضمير لهذا السبب.

– وهل كانت "**أنجيلا**" حاقدة على أختها؟

– لا، لا مطلقا، بل كانت تبادلها الحب، والحنان دون أن تشير من قريب أو بعيد إلى هذا الموضوع.

– وهل كانت "**أنجيلا**" راضية بفكرة الذهاب إلى المدرسة؟

– لا، بل ثارت في وجه "**أمياس**" وأرادت أن تتحداه، ووقفت أختها بجانبها ولكن "**أمياس**" كان من الرجال الذين إذا قرروا أمرا فإنهم لا يرجعون عنه. وهكذا لم يكن على "**أنجيلا**" إلا أن تخضع في النهاية لقراره.

– ومتى تقرر إلحاقها بالمدرسة؟

– في ذلك الخريف الذي وقعت فيه المأساة. فأنا أذكر أنهم كانوا يعدون حاجاتها ولوازم المدرسة، ولولا وقوع المأساة لذهبت إليها بعد أيام معدودة، فقد سمعت حديثا في الصباح عن ترحيلها بعد إعداد حقائبها.

– وماذا كان رأي المربية الآنسة "**ويليامز**"؟ ألا يعني إلحاق "**أنجيلا**" بالمدرسة تعطلها هي عن العمل؟

– نعم، ولكن هل يعقل أن تلجأ سيدة محترمة فاضلة الأخلاق مثل الآنسة "**ويليامز**" إلى ارتكاب جريمة قتل حتى لا تتعطل عن العمل؟

– غير معقول بالتأكيد، وإن كان بعض الناس يرتكبون أبشع الجرائم لأتفه الأسباب، حسنا يا سيد "**بليك**"، وماذا كان رأي "**إلزا**" في الموضوع كله؟ ألم تشعر يوما بتأنيب الضمير وهي تعمل على تحطيم أسرة والزواج من رجل بعد أن تحرمه زوجته وابنته؟

– لا. أبداً لقد تحدثت إليها طويلا في هذا الشأن، فضحكت وقالت إن الإنسان يجب أن يبحث عن السعادة في الحياة ومادامت الحياة الزوجية بين "**كريل**" وزوجته قد أصبحت سلسلة من المتاعب، فليس هناك أفضل من أن يتحرر كل

منهما عن الآخر، وعلى الرغم من أني لم أقتنع بالتأكيد بمنطقها، فإني لم أستطع أن أنبهها بمغبة هذه المغامرة التي توشك على الإقدام عليها بالزواج من رجل يكبرها بعشرين عاما.

وبعد برهة صمت، قال "**بوارو**" :

– هل لا تزال يا سيد "**بليك**" هاويا لاستخراج العقاقير من الأعشاب الطبية؟

– لا. لا. لا لقد نفضت يدي تماما من هذه الهواية بعد المأساة؛ فأنا حتى اليوم لا أزال أشعر بأني لا أخلو من المسؤولية غير المباشرة فيما حدث.

– هل وجدوا بصمات أصابع على زجاجة "**الكونين**" التي بقيت في معملك.

– نعم، بصمات أصابع "**كارولين**" فقط.

– وأصابعك أنت؟

– لا، لم أمسك الزجاجة بيدي، وإنما أشرت إليها فقط في أثناء حديثي. ولا شك في أن آثار بصماتي القديمة عليها زالت بسبب استعمال المنفضة يوميًّا لإزالة الغبار عن الزجاجات.. وبهذه المناسبة كنت أنا أنظف الزجاجات، ولم أسمح للخدم بدخول المعمل وكنت أحرص دائمًا على غلق بابه بالمفتاح.

– ومتى اختلست "**كارولين**" كمية "**الكونين**"؟

– ونحن في طريق الخروج من المعمل، فقد كانت هي آخر من خرج، وقد وقفت أنا بالباب أتحدث قليلاً مع "**إلزا جرير**" ثم ناديت "**كارولين**" حين لاحظت أنها تأخرت في الخروج، فجاءت مضطربة متوهجة الوجنتين، متألقة العينين. يا إلهي! إني أكاد أراها الآن.

– هل دارت بينك وبين "**كارولين**" محادثة بعد ظهر ذلك اليوم، أعني محادثة بشأن الموقف الذي كان بينها وبين زوجها؟

– نعم، ولكن في كلمات قليلة. عندما رأيتها مضطربة النفس، قلت لها: «هل حدث شيء يا "**كارولين**"؟» فقالت: «حدث كل شيء، بل يمكنك أن تقول لقد انتهى كل شيء. لقد انتهيت أنا يا "**ميرديث**"». ثم أرسلت ضحكة عصبية

وتحولت نحو الآخرين في ابتهاج مصطنع.

وصمت "**ميرديث**" برهة قبل أن يستطرد قائلا:

– أؤكد لك يا سيد "**بوارو**" أن "**كارولين**" كانت صادقة حين اعترفت في أثناء المحاكمة بأنها اختلست كمية "**الكونين**" لتنتحر بها. نعم، إنها لم تفكر في قتل زوجها إلا في اليوم التالي.

– هل أنت واثق تماما بأن "**كارولين**" هي القاتلة؟

– إذا لم تكن هي، فمن يكون؟

– ألم تقل أنت إن "**كارولين**" كانت دائمًا سيدة رقيقة لطيفة، أي ملاكا بالقياس إلى زوجها؟

– بلى.

– فهل يمكن لمثل هذه السيدة أن ترتكب جريمة قتل عمداً مع سبق الإصرار؟

– كان لـ"**كارولين**" – على الرغم من رقتها ولطفها – لسان حاد لاذع تلهب به زوجها أحيانًا عندما يتمادى في سوء سلوكه، وكانت أحيانًا تقول له: «إنني أكرهك، لشد ما أتمنى أن أقتلك وأمزق جسمك بيدي»، أو شيئًا من هذا القبيل وأعتقد أن تصرفات "**كريل**" الأخيرة وتحديه السافر لها قد أفقدها الصواب وجعلها تقدم على ارتكاب هذه الجريمة وأن التي ارتكبت هذه الجريمة ليست "**كارولين**" العاقلة اللطيفة، وإنما "**كارولين**" التي فقدت عقلها.

– إذن فأنت لا توافق على نظرية انتحار "**كريل**"؟

– لا. لا. إن "**كريل**" كان آخر إنسان في الدنيا يفكر – مجرد تفكير – في الانتحار.

– كأنك في هذه الحالة جد واثق بإدانة "**كارولين**".

– أعود فأقول إذا لم تكن هي، فمن يكون؟

– أليس هناك احتمال – مجرد احتمال بسيط – في أن يكون القاتل شخصا آخر غيرها؟

ـ إنه احتمال مستبعد، بل مستحيل. لقد كان "**فيليب**" من أخلص أصدقائه، وليس هناك أدنى سبب يدعوه لارتكاب مثل هذه الجريمة... وأنا! هل أبدو في نظرك قاتلاً؟ حسنًا و"**إلزا**" هل يعقل أن تقتل الشخص الذي كانت تحبه بكل ذرة من كيانها... المعقول أن تقتل "**كارولين**"، وكذلك لا يعقل أن ترتكب صبية مثل "**أنجيلا**" جريمة قتل. وليس هناك سبب يدفع مربية محترمة مثل الآنسة "**ويليامز**" إلى ارتكاب هذه الجريمة. وكذلك الخدم لم يكن لهم أي دخل في الموضوع كله.

فقال "**بوارو**" بعد برهة صمت:

ـ هل يمكن يا سيد "**بليك**" أن تتكرم وتكتب كل ما تعرفه أو تذكره عن هذه المأساة، لقد وافق شقيقك السيد "**فيليب**" على كتابة ذكرياته عن هذا الموضوع.

ـ "**فيليب**"؟ هل تحدثت إليه في هذا الصدد؟

ـ نعم.

ـ لا شك في أنك لاحظت مبلغ تحامله على "**كارولين**"؟

ـ لقد أدهشني هذا التحامل فعلا.

ـ لقد كان معاديا لها دائما.

ـ لماذا؟

ـ لا أدري، كان شديد السخط عليها بمناسبة وبغير مناسبة، وأعتقد أنه كان شديد الاستياء يوم تزوجت "**كريل**" بل إنه امتنع عن الذهاب إليها عقب الزواج عاما كاملا، ومع ذلك فقد ظل "**أمياس**" أخلص أصدقائه. وأعتقد أن هذا هو السبب. فقد كان يعتقد أن "**أمياس**" أعظم شأنا منها، وكان يخشى أن زواجه بها سيفسد صداقتهما الرائعة.

ـ وماذا كان شعور أخيك بشأن موضوع "**إلزا جرير**"؟

ـ كان متناقض الشعور عن هذا الموضوع. كان ساخطا على "**أمياس**" لتعلقه بفتاة تصغره بعشرين عاما، وكان في الوقت نفسه يشعر بالسرور الخفي؛ لأن "**كارولين**" سوف تنفصل في النهاية عن صديقه الوفي. وبعد برهة صمت، قال

"**ميرديث**" فجأة:

– لقد انتهى كل شيء، فلماذا كل هذا الحديث عن الماضي وذكرياته المؤلمة؟

– هذا هو ما أرادته "**كارولين كريل**".

– "**كارولين**"؟! ماذا تعني؟

– لقد تركت لابنتها "**كارلا**" خطابا قصيرا، وطلبت من المسؤولين ألا يسلموه لها إلا بعد بلوغها الحادية والعشرين، فهل تعرف ماذا كتبت في هذا الخطاب؟

– لا.. بالتأكيد.

– أقسمت فيه لابنتها – وهي على فراش الموت – أنها بريئة!

– هل.. أقسمت "**كارولين**".. على هذا؟

– نعم. هل أدهشك هذا؟

– جداً، ولو أنك رأيتها في أثناء المحاكمة لما خالجك شك في ارتكابها للجريمة. فقد كانت شاحبة، متهالكة، مستسلمة لهجمات ممثلي الاتهام بكل شيء تقريبا فيما عدا ارتكابها الجريمة، أي فيما عدا وضعها السم في الشراب لزوجها. لقد بدت لي يومذاك النموذج الكامل للزوجة التي قتلت – في ساعة يأس – زوجها الحبيب، ثم ندمت، وقررت أن تلحق به.. أما الآن.

– أما الآن؟

– بعد أن أقسمت في خطابها لابنتها على براءتها، فقد بدأت أشك، بدأت أعتقد أنها بريئة حقًّا فأنا أعرف تماما أن "**كارولين**" كانت من القلائل جداً الذين لا يعمدون إلى الكذب لأي سبب، ولكن.. وصمت "**ميرديث**" برهة، وراح ينظر في ذهول إلى "**بوارو**" ثم قال:

– نعم، ولكن إذا لم تكن هي، فمن يكون؟ إنني شخصيا لا أرى احتمالا آخر.

ثم أردف قائلا في حدة لـ"**بوارو**":

– وأنت.. ما رأيك؟

– أنا لا رأي لي الآن، أجمع الحقائق فقط. إنني أريد أن أعرف كيف كانت

"**كارولين**" و"**أمياس**"، والأشخاص الذين شهدوا المأساة. أريد أن أظفر من كل واحد من هؤلاء الأشخاص برأيه الخاص، وبشعوره، وبرد الفعل الذي تركته المأساة في نفسه. وبذكرياته الخاصة عنها.. ومن هذا كله أستطيع أن أصل في النهاية إلى الحقيقة.

فقال "**ميرديث**" متحمساً:

– هذه فكرة صائبة.. وأنا متفق معك.. ومن حسن الحظ أني أحتفظ بمفكرتي القديمة، ويمكنني أن أكتب لك إذا شئت تقريرا كاملاً عما حدث في ذلك اليوم، وفي اليوم السابق عليه. ولكن أسلوبي في الكتابة ليس كما ينبغي.

– أوه.. إنني أريد الحقائق فقط، أما الأسلوب فلا يهم. وبهذه المناسبة إني أعتقد أن قصر "**ألدربري**" قريب من هنا فهل يمكن أن أذهب إليه وأرى هذا المسرح الذي جرت عليه أحداث المأساة؟

– ممكن جداًّ، ولكن كثيرا من التغيرات أدخلت عليه.

– هل هدم وأقيم من جديد؟

– لا. اشترته إحدى الجمعيات، وجعلت منه مصيفا للشباب، وملأت الغرف بالفواصل والحواجز لتكون مقصورات صغيرة للنوم.

– ومن الذي باعه؟

– الوصي على "**كارلا**" باعه وضم ثمنه إلى أموالها التي ورثتها عن أبويها.

– ألم ترث "**أنجيلا**" شيئًا؟

– نعم.. لم ترث شيئا مطلقا، ولكنها كانت وارثة عن أبيها ثروة صغيرة.

– آه. فهمت، حسنًا هل يمكنك يا سيد "**بليك**" أن تبين لي الأماكن التي تناولها التغيير؟

– نعم.. نعم. ومن حسن الحظ أن الممرات وحديقة البحر لا تزال كما هي.

وفيما هما يسيران، قال "**بوارو**" حين رأى البحر أمامه:

– إلى أين نمضي؟

– إننا نمضي إلى خليج ضيق من البحر إلى داخل اليابسة، وهذا الخليج يفصل بين ضيعتي و "**ألدربري**" ، ونحن سنعبره الآن بالزورق في خمس دقائق، أما إذا سرنا حول نهاية الخليج، فإننا سوف نصل بعد ساعة ونصف الساعة. ولما عبرا الخليج بزورق خاص، أردف "**ميرديث**" قائلاً :

– هذا هو الطريق الذي كنا نتبعه منذ القدم إلا إذا قامت عاصفة شديدة، ففي هذه الحالة نستخدم الطريق البري.

وفي الجانب الآخر من الخليج، شاهد "**بوارو**" مجموعة من المنشآت المشيدة بالأسمنت، والمخصصة للسياحة، وقد أشار إليها "**ميرديث**" قائلا :

– هذه كلها منشآت جديدة لم يكن لها وجود من قبل.

وفيما هما يسيران صعدا إلى ممر متعرج تحف به الأشجار. أردف "**ميرديث**" قائلا :

– من المحتمل ألا نلتقي بأحد هنا، فإننا الآن في شهر نيسان (إبريل)، ولم يبدأ موسم الاصطياف بعد. وحتى إذا التقينا بأحد، فلا خوف؛ لأني على علاقة طيبة بجميع جيراني.

ولما بدأ الممر يدور حول سور حجري، أشار "**ميرديث**" إليه وقال :

– هذا هو سور حديقة البحر، ونحن نسير حوله الآن في الطريق الصاعد إلى القصر.

وسارا مرة أخرى في منعطفات الممر المحفوف بالأشجار حتى وصلا إلى باب حديقة البحر، وكان من الممكن أن يتجاوزاه ويواصلا السير في الممر إلى القصر، ولكن "**ميرديث**" فتح الباب، ودخل مع "**بوارو**" حديقة مشمسة، ساطعة الضوء، تقوم على هضبة تشرف على مياه البحر، وكانت بها بعض الأشجار القليلة وأحواض الأزهار، وقد قال "**بوارو**" وهو يمسحها بنظراته :

– مكان شاعري جميل. وأشار "**ميرديث**" إلى كوخ خشبي منهدم وقال :

– هنا كان "**أمياس**" يحتفظ بأدوات الرسم وبعض زجاجات الشراب والأقداح وكان ثمة مقعد مستطيل، ومنضدة وحامل للرسم.. ولا شيء غير هذا.

– وهناك.. مات "**أمياس**"؟!

– نعم.. على المقعد المستطيل الذي كان موضوعا بالقرب من الكوخ. وكان من عادته أن يرقد فوق المقعد على وجهه ساعة أو أكثر أو أقل، يفكر، ويتأمل، أو ربما يستوحي آلهة الفن، ثم يقفز واقفا ويعمل بفرشاته كالمجنون في اللوحة وهكذا..

وصمت برهة قبل أن يردف قائلاً:

– هذا هو السبب الذي جعله يبدو في نظري طبيعيا حين غادرت هذه الحديقة مع "**إلزا**" لتناول طعام الغداء، لقد كنت جالسا في ذلك المكان المرتفع الذي تراه يشرف على الحديقة من ناحية القصر، فلما دق جرس الغداء هبطت، وكانت "**إلزا**" أسبق مني إلى الباب، وكان "**أمياس**" متهالكا على المقعد يستريح، وقد علمت من "**إلزا**" أنه سيبقى ليتم اللمسات الأخيرة من اللوحة وكان هو ينظر إلينا نظرات غريبة لم أفهم معناها في تلك اللحظات، ولكن لم يكن ثمة أمارات للألم على وجهه. حمداً لله. وإنما كان – دون أن ندري – في حالة شلل..

– ومن الذي اكتشف وفاته؟

– أنا "**كارولين**".. و"**إلزا**" كنا آخر من رآه حيا، على كل حال سوف أكتب لك تفاصيل ما حدث بدقة.

واستأنف الرجلان صعودهما في الممر المتعرج حتى وصلا إلى هضبة أخرى صغيرة تشرف على حديقة السطح وتظلّلها الأشجار، وقد قال "**ميرديث**": إنها المكان الذي كان جالسا فيه ينظر إلى "**أمياس**" وهو مشغول برسم لوحة "**إلزا**".

وبعد أن وصلا إلى القصر بحجراته، ووقفا برهة في شرفته الكبيرة، عادا إلى شاطئ الخليج عن طريق ممر آخر أطول، حتى إذا بلغا ضيعة "**هاندكروس**" مرة أخرى قال "**ميرديث**" وهو يدخل ردهة بيته مع "**بوارو**":

– لقد اشتريت تلك اللوحة بالتأكيد، اللوحة التي مات "**أمياس**" وهو يرسم اللمسات الأخيرة فيها. لم أشأ أن أجعلها تقع في أيدي جماعة من الحمقى الذين لن يروا فيها إلا فتاة جميلة في سروال قصير يكشف عن ساقيها وأعلى فخذيها.

فهل تحب أن تراها؟

فلما أومأ "**بوارو**" برأسه، مضى "**ميرديث**" به إلى غرفة أدرك "**بوارو**" من النظرة الأولى أنها غرفة المعمل القديم فقد كانت زاخرة بالأرفف والزجاجات القديمة الفارغة، ومنضدة في الوسط. ولما فتح "**ميرديث**" نافذتها، انساب إليها الضوء مع عطر نسائم الربيع.

ووقف "**بوارو**" يستنشق رائحة أزهار "**الياسمين**"، بينما قال "**ميرديث**":

– هنا بالقرب من هذه النافذة كنت واقفا – كما تقف أنت الآن – أشم عطر "**الياسمين**". وكنت أحدثهم – بحماقة – عن مفعول مختلف العقاقير التي أستخرجها من النباتات الطبية. ثم تحرك "**ميرديث**" إلى الجدار المواجه للنافذة، ورفع الغطاء عن لوحة فنية، وإذا "**بوارو**" ينظر في دهشة وإعجاب إلى صورة زيتية لفتاة جميلة في قميص مفتوح أصفر اللون، وبنطلون قصير أزرق اللون، جالسة على سياج من الحجارة القاتمة، ومن ورائها الأفق الأزرق البعيد. على الرغم من ألوان الصورة الصارخة، المتنافرة، فقد أحس "**بوارو**" أنه أمام عمل فني ينم عن عبقرية وموهبة أصيلة. عمل يكاد ينبض بالحياة والشباب، والحيوية، أما عيناها! فإن "**بوارو**" شعر برعدة تسري في جسمه وهو يتأمل وجه الفتاة المفعم بالجاذبية والفتنة. وقال "**بوارو**" وهو يشير إلى اللوحة:

– إنها، حقًا عمل فني عظيم.. عظيم جدًا. وفيما هو يغادر الغرفة مع "**ميرديث**"، توقف برهة، واستدار إلى الصورة، ورأى العينين تحدقان النظر إليه، وشاهد في نظرات العينين شيئا عجيبا، ومثيرا. وفهم "**بوارو**" هذا الشيء، ولكن ترى كيف يكون الحال لو أنه أخطأ الفهم؟ فهل ستصارحه صاحبة العينين، وهي لم تزل على قيد الحياة، وفي أوج الأنوثة، بكل شيء! أم أن المرأة الحقيقية لا تعرف معنى النظرات التي كانت منبعثة من عينيها في أثناء التصوير؟ إنها نظرات فتاة أحبت.. بكل كيانها.. بكل قطرة في دمائها.. بكل خلجة من أعماق نفسها ثم جاء الوقت، واختطف منها الحب والأمل، والسعادة وانطفأ ذلك النور المقدس من

العينين، وحل محله، يا للهول! ترى ما شكل عيني "**إلزا جرير**" الآن؟! وغادر "**بوارو**" الغرفة وهو يقول لنفسه: «لقد كانت متوثبة بالحياة إلى حد التحفز». ومرة أخرى سرت في جسده رعدة خفيفة.

- 4 -

كان كل شيء في قصر الأمير "**ديتشام**" ينم على الثراء والترف بل ينم على الرغبة في اقتناء الأفضل والأثمن. وهناك في إحدى قاعات الاستقبال الفاخرة، وقف "**بوارو**" أمام السيدة "**ديتشام**"، بعد أن أذنت له بالمقابلة، حيث كانت بدورها واقفة بجانب مدفأة فاخرة. وكانت أول عبارة مرت بذهن "**بوارو**" وهو يرى السيدة "**ديتشام**"، أي "**إلزا جرير**" هي: «لقد ماتت في شبابها!» لقد خامره الشك برهة، في أن هذه السيدة، هي نفسها "**إلزا جرير**" التي شاهد صورتها في غرفة معمل "**ميرديث بليك**"... لقد كانت الصورة لفتاة تنبض بالحيوية والشباب.. أما هنا، أما هذه السيدة، فليس فيها من أمارات الشباب شيء.. نعم إن الجمال موجود، وموفور، وناضج. ولكن الشباب والحيوية، والبهجة، والحماس، واللهفة، والشوق إلى المجهول، والأمل في الغد، كل هذا لم يكن موجودا. وتذكر "**بوارو**" في تلك اللحظة مأساة "**روميو**" و"**جولييت**". لقد ماتت "**جولييت**" لأنها لم تطق البقاء بعد "**روميو**"، أما "**إلزا**" فإنها بقيت على قيد الحياة ميتة!

– تفضل بالجلوس يا سيد "**بوارو**"، وثق بأنني مهتمة بالموضوع الذي من أجله جئت. ولكنه قال لنفسه: «لا.. إنك كاذبة، إن كل شيء ينم عن أنك لم تعودي تهتمين بشيء.. أي شيء». وبصوت مرتفع قال:

– إنني يا سيدتي مرتبك، مرتبك جداً!

– لماذا؟

– لأني أدرك أن الحديث عن الماضي، عن هذه المأساة بالذات، مؤلم لك.

فابتسمت وقالت:

– هذا لأنك تعتقد أنني سيدة مرهفة الحس، والواقع أنني أبعد الناس عن المشاعر المرهفة. إنني امرأة واقعية. لا مجال للخيال في حياتي.. لقد كان أبي كما تعلم صبي طحان، وظل يجاهد في الحياة حتى نجح وكون ثروة طائلة. والرجل العصامي، غالبا، لا يعرف شيئا اسمه المشاعر المرهفة، وقال "**بوارو**" لنفسه: «نعم، صدقت فلو كانت مرهفة المشاعر، لما جرؤت على الذهاب إلى قصر "**كريل**" والحياة مع زوجته تحت سقف واحد». وعادت هي تقول:

– ماذا تريد أن تعرف مني؟

– هل أنت واثقة يا سيدتي بأن الحديث عن هذا الموضوع لن يؤلمك؟ وترددت برهة. وأدرك "**بوارو**" فجأة، إن هذه السيدة الجالسة معه، صريحة بطبيعتها ولكنها قد تلجأ إلى الكذب للضرورة وأخيراً قالت:

– إن هذا الموضوع، أعني الحديث عنه، لا يؤلمني، وإني أتمنى لو أنه يثير ألمي.

– لماذا؟

– لأن قسوة الحياة أن يعيش الإنسان بدون مشاعر أو عواطف. وعاد "**بوارو**" يؤكد لنفسه قائلاً: «نعم إن "**إلزا جرير**" قد ماتت». وقال بصوت واضح:

– أواثقة أنت تماما بأن الحديث عن هذه المأساة لن يثير أشجانك وآلامك؟

– أؤكد لك أنني، حتى في أثناء المحاكمة، لم أكن أشعر بالألم، بل على العكس لقد استمتعت بها على الرغم من سخط الجماهير عليَّ. لقد كان محامي الدفاع قاسيا عليَّ، ولكني عرفت كيف أحاربه وأنتصر عليه. نعم، كانت أيام المحاكمة كلها مثيرة رائعة، ولشد ما تمنيت لو أنها انتهت بصدور حكم الإعدام على "**كارولين**". ونظر "**بوارو**" إلى يدي "**إلزا ديتشام**": يدان جميلتان.. ولكن بأظافر طويلة معقوفة كالمخالب. وعادت هي تقول:

– لعلك تظن أنني امرأة قاسية لا أرحم. نعم، هذه هي الحقيقة. إنني لا أشعر بالرحمة لمن يسيء إليَّ. ولقد أساءت تلك المرأة إليَّ إساءة لا تغتفر، إساءة حطمت

حياتي كلها، كانت تعلم أن "**أمياس**" يحبني، وأنا أحبه بكل ذرة من كياني ، وإنما سنتزوج حينما يتم طلاقه منها. ومع ذلك قتلته حتى لا أسعد بالحياة معه. وشردت نظراتها وهي تردف قائلة:

- فهل هناك إساءة أشد من هذه؟

ألم تحاولي أن تلتمسي لها العذر؟

- لا، مطلقا. إنني كما ذكرت امرأة واقعية، إذا خسر الإنسان المباراة، فيجب أن يعترف بالهزيمة. وإذا عجزت المرأة عن الاحتفاظ بزوجها، فيجب أن تفرج عنه وتطلق سراحه. إني لا أفهم معنى احتفاظ امرأة بزوج لا يريد الحياة معها.

- لعلك كنت تفهمين هذا المعنى لو تزوجت به؟

- لا أظن... إننا لم نكن.. ثم توقفت فجأة عن الحديث، وابتسمت. وشعر "**بوارو**" بشيء من الخوف وهو يرى هذه الابتسامة الغامضة على شفتيها، ولكنها أردفت قائلة:

- أحب أولا أن أبين لك بوضوح أن "**أمياس كريل**" لم يقع في حبائل فتاة بريئة صغيرة معجبة به. أنا التي أوقعت به في حبائلي، لقد التقيت به في حفلة، وأحببته من أول نظرة، وقررت أن أدع كل شيء؛ لأعيش بجانبه كالجارية.

- على الرغم من أنه زوج ووالد!!

- نعم، ولم لا؟ لقد كان شقيا في حياته الزوجية. فلماذا لا يسعد بالحياة معي ؟ إن للإنسان في هذه الدنيا حياة واحدة فقط.

- ولكن المعروف أنه - على الرغم من كل شيء - كان سعيدا مع زوجته!

- لا لا، كانا يتشاجران دائما، وكانت هي تطلق عليه لسانها السليط كل يوم تقريبا. كانت زوجة لعينة.. لعنها الله.. ونهضت "**إلزا ديتشام**" واقفة، وأشعلت لفافة تبغ، ثم قالت:

- قد أكون قاسية عليها، ولكنني أعرب عن شعوري نحوها، وعن كراهيتي لها وحقدي عليها. وبعد برهة من الصمت أردفت قائلة:

– إنني لم أكن في يوم ما منافقة، أو مرائية، وإنما أسير على المثل الإسباني القائل: «خذ ما تريد وادفع الثمن.. هكذا الحياة». وأنا أفعل هذا، أحاول أن أظفر بكل ما أريد دون أن أخشى دفع الثمن.

– ولكن في الحياة أشياء لا تباع!

– نعم. ولهذا فأنا لا أقصد بكلمة "الثمن" المال دائما، فإن الثمن يتوقف على طبيعة الشيء الذي تريده.

– إنني أفهم ما تعنين، ولكن، مع هذا، فإن ثمة أشياء كثيرة لا تباع بالمال أو بغير المال.

– كلام فارغ. وابتسم في رفق، بينما أردفت هي قائلة:

– حدثني عن هذا الكتاب الذي تنوي شركة النشر إصداره. ما الغرض منه؟ أي غرض يمكن أن يكون أكثر من ربط أحداث الماضي بمثيرات الحاضر؟

– لا، ولكني خبير بالكشف عن الجرائم.

– هل تعني أنك مكلف بالتحقيق في هذه الجريمة؟

– مكلف بالوصول إلى الحقيقة.. أيا كانت.

– ممن؟

– من "**كارلا لامرشان**".

– من هي؟

– إنها ابنة "**كارولين**" و"**أمياس كريل**".

– آه.. حقًّا.. كانت لهما طفلة صغيرة عند وقوع المأساة.. لا شك في أنها كبرت الآن.

– نعم.. إنها الآن في نحو الحادية والعشرين، طويلة، ورشيقة، ورائعة الجمال. وأعتقد أنها قوية الشخصية موفورة الشجاعة.

– إنني أتمنى أن أراها.

– ولكنها قد لا تريد أن تراك.

– لماذا؟ آه . . . فهمت، ولكن من المحتمل أنها لا تذكر شيئا مما حدث، فإنها لم تتجاوز يومذاك الخامسة أو السادسة من عمرها.

– إنها تعرف أن أمها حوكمت بتهمة قتل أبيها.

– ولا شك في أنها تعتقد أنني السبب المباشر في كل ما حدث.

– محتمل. . أو مرجح. فهزت "**إلزا**" كتفيها وقالت:

– يا للحماقة! إن "**كارولين**" في الواقع هي السبب، فلو أنها كانت واقعية في تصرفاتها لما. .

– إذن فأنت لا تشعرين بأية مسؤولية فيما حدث؟

– لماذا أشعر؟ ليس هناك ما يدعوني للخجل مطلقا . . . لقد أحببته، وكنت أريد أن أسعده، إنني لا أدري كيف أجعلك تنظر إلى الأمر من زاويتي. . فلو أنك كنت تعلم حقيقة الجو المحيط بالمأساة. . فانحنى "**بوارو**" في لهفة وقال بسرعة:

– هذا ما أريد أن أعرفه فعلا، وقد وعد السيد "**فيليب بليك**" بكتابة تقرير مفصل عن كل ما حدث، وكذلك وعد السيد "**ميرديث بليك**"، فإذا سمحت أنت. . فتنفست بعمق وقالت باحتقار:

– إن هذين الأخوين كانا دائما أحمقين. . كان "**فيليب**" يخفي غرامه بـ"**كارولين**" تحت ستار من الكراهية، وكان "**ميرديث**" يتمنى رضاها، ولكنه إنسان طيب، ساذج، أكبر ظني أنك لن تظفر بشيء ذي بال من تقريريهما. وصمتت برهة قبل أن تقول فجأة:

– هل تريد الحقيقة، الحقيقة لذاتها، لا للنشر والإثارة؟

– إنني لن أنشر شيئا إلا بإذنك.

– لشد ما أهفو إلى كتابة الحقيقة، نعم. . إلى شرح موقفي الحقيقي من هذه المأساة. . إلى إفهام الناس أن الحب ليس خطيئة. . وليس ذنبا. . وأن من حق كل إنسان أن يحب. . أن يتحرر من قيود الشقاء. . وأن يبحث عن السعادة. . نعم أريد أن أكشف للناس حقيقة تلك المرأة التي فضلت الموت لزوجها على إطلاق حريته.

ونهضت إليه، وأمسكت بكم سترته واستطردت تقول بصوت كالفحيح:

– ينبغي أن تفهم.. نعم ينبغي أن تدرك تماما كيف كان الحب بيننا – أنا و "**أمياس**" – لسوف أطلعك على شيء. واستدارت بسرعة، وفتحت درجا صغيرا وتناولت منه خطابا قدمته إلى "**بوارو**" وهي تقول:

– اقرأ هذا.. اقرأ لكي تفهم مدى الحب الذي كان يربط بيننا: « "**إلزا**" .. يا طفلتي المدهشة العجيبة التي ليس لها مثيل في الدنيا.. إنني خائف.. إنني أكبر منك سنا.. رجل في منتصف العمر.. متقلب الأهواء.. لا مبادئ له أو مثل عليا.. لا تثقي بي.. لا تؤمني بي.. إنني رجل شرير وإن كنت فنانا نابغة.. إن أجمل وأعظم ما في نفسي أسكبه في فني فقط.. فلا تقولي يوما إنني لم أحذرك. «حسنا يا حبيبتي.. إنني على الرغم من كل شيء، سأظفر بك.. إنني على استعداد، كما تعلمين، لمحالفة الشيطان من أجلك، ومن أجل رسم صورة لك تجعل عالم الفن يحبس أنفاسه من فرط الدهشة والإعجاب.. إني مجنون بك إنني لا أستطيع النوم.. "**إلزا**" .. "**إلزا**" .. "**إلزا**" .. إنني ملك يمينك إلى آخر العمر. "**أمياس**" ».

ورفع "**بوارو**" عينيه ونظر إلى "**إلزا**" ، وبدت له في تلك اللحظة متوهجة الوجنتين، وكأنما عادت إلى الوراء ستة عشر عاما.. وكأنما لكلمات الخطاب رنين أجراس الحب في أذنيها...

- 5 -

قالت الآنسة "**ويليامز**" في لهجة جادة حاسمة:

– هل أستطيع أن أسألك يا سيد "**بوارو**" لماذا؟ وكان "**بوارو**" قد صعد بعد عناء إلى الغرفة الوحيدة التي تقيم بها الآنسة "**ويليامز**" ، وكانت غرفة تنم عن رقة الحال. وكانت الآنسة "**ويليامز**" جالسة أمامه، على أريكة قديمة، وبوجهها

المغضن؛ إذ كانت قد بلغت الستين من عمرها، وكانت تردد:

- إنك تريد ذكرياتي عن مأساة "**أمياس كريل**" وزوجته، فهل لي أن أسأل لماذا؟ وشعر "**بوارو**" بأنه، أمام هذه السيدة التي قضت حياتها في تربية وتعليم الأطفال، لا يستطيع أن يكذب، وكأنما هو، قد تحول فجأة إلى طفل أمام مربيته الحازمة. ومن ثم لم يسعه إلا أن يذكر لها الحقيقة كاملة. وأنصتت إليه في اهتمام، ثم قالت أخيراً:

- كيف حال هذه الطفلة المسكينة الآن؟ لا شك في أنها كبرت وأصبحت شابة!

- نعم. وجميلة، وقوية الشخصية، وشجاعة القلب، ويمكنني القول، إنها أيضاً قوية الإرادة، وهي مصرة على معرفة الحقيقة بأي ثمن!

- هل تتمتع بمزاج فني كأبيها؟

- لا أظن.

- حمداً لله.. إذن فهي أقرب إلى أخلاق أمها من أبيها.

- أعتقد هذا. ويمكنك أن تتأكدي من هذه الحقيقة إذا رأيتها.

- إنني أحب أن أراها، فقد اعتدت دائما أن أسعد برؤية الأطفال بعد أن يكبروا ويصبحوا رجالا ونساء.

- من حسن حظها أنها كانت طفلة صغيرة عند وقوع مأساة والديها.

- نعم.. مؤكد، لو أنها كانت أكبر، لتركت الصدمة في نفسها أثرا لا يمحوه الزمن.

- بهذه المناسبة يا آنسة "**ويليامز**". هل أستطيع أن أعرف رأيك عن العلاقة الحقيقية التي كانت بين "**كارولين**" وابنتها الطفلة "**كارلا**".. هل كانت بالنسبة إليها أما مثالية؟ فصمتت الآنسة "**ويليامز**" برهة ثم قالت:

- نعم إلى حد ما.. كانت تهتم بها، وتعتني بصحتها وتقوم على رعايتها كأحسن ما تكون الرعاية، ولكنها، مع هذا، كانت متفانية إلى حد التضحية بالنفس في حب زوجها "**أمياس**". لم أشهد في حياتي زوجة أحبت زوجها بمثل

هذه القوة والتفاني. كانت تعيش فيه، وبه، ومن أجله. وأعتقد أن هذا يفسر الدافع الذي جعلها تقضي عليه حتى لا تراه بين ذراعي امرأة أخرى.

– هل كنت تميلين إلى "**أمياس كريل**"؟

– كلا.. لم أكن أميل إليه أو أرضى عن تصرفاته، ولو كنت زوجته، لما قبلت الحياة معه بأي ثمن، فهناك أشياء لا يمكن للزوجة أن تحتملها.

– ولكن السيدة "**كريل**" كانت تحتملها.

– نعم.

– كأنك كنت تعتقدين أنها مخطئة في الاحتمال!

– نعم.. ينبغي للمرأة أن تحافظ على كرامتها ولا تخضع للإذلال المهين.

– هل حدثت السيدة "**كريل**" برأيك هذا في أثناء إقامتك معها؟

– بالتأكيد لا.. ولماذا أفعل؟ لقد كنت مكلفة بالتدريس لـ"**أنجيلا وارين**"، لا لإسداء النصائح لهذا أو ذلك.

– ولكنك كنت تحبينها!

– نعم. كنت أحبها أشد الحب. ولشد ما حزنت عليها ولأجلها.

– وتلميذتك، "**أنجيلا وارين**"؟

– كانت فتاة عجيبة، من أعجب الفتيات اللائي درست لهن: عقل ذكي، وشقاوة، وسرعة غضب، وجموح. ولكنها، مع هذا كانت لطيفة خفيفة الظل. ثم صمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة:

– وكنت أشعر دائما بأنها ستنجح في الحياة وتحرز شهرة واسعة ومركزا رفيعا، وهذا ما حدث فعلا،. هل قرأت آخر مؤلفاتها عن "الصحراء المصرية"؟ وهل علمت أنها هي التي اكتشفت مقابر الفراعنة في محافظة "**الفيوم**" بـ"**مصر**"؟ إنني في الواقع شديدة الفخر بها، حقًّا إنني لم أبق في "**ألدربري**" غير عامين، ولكني أعتقد أني استطعت توجيه عقلها وذهنها وآمالها في هذا الطريق. طريق الكشف عن الآثار والاهتمام بالتاريخ. فقال "**بوارو**":

- وما رأيك في "**إلزا جرير**"؟
- كانت فتاة جريئة وقحة ليس لها مبادئ سليمة.
- لقد كانت صغيرة.. طائشة؟
- لا.. كانت في السن التي تجعلها تفهم وتدرك ما يضر وما ينفع، إنني لا ألتمس لها أي عذر.
- ولكنه الحب يا آنسة "**ويليامز**".
- الحب؟ هل يمكن للإنسان أن يعتذر عن سوء سلوكه وشذوذ تصرفاته بالحب؟ وهل يليق بفتاة أن تحب رجلا متزوجا. وأن تقبل الحياة معه في بيت الزوجية؟ وأن تتحدى زوجته علنا بقولها إنها ستأخذ منها زوجها؟ إن هذا ليس حبا.. وإنما سوء تربية.
- لا شك في أن موت "**أمياس كريل**" كان صدمة رهيبة لها!
- نعم.. بكل تأكيد.. ولكنها هي المسؤولة عن موته. إنني ألتمس العذر كل العذر للسيدة "**كريل**". فأنا نفسي. كنت أشعر أحيانا بالرغبة في قتل السيد "**كريل**" وحبيبته الوقحة. إنني لم أر في حياتي رجلا يتمادى في تحديه لمشاعر زوجته المحبة له، إلى هذا الحد. إن الموت هو أقل جزاء لمثل هذا الرجل. وقد نال "**أمياس**" جزاءه العادل. وبعد برهة من الصمت. قال "**بوارو**" فجأة:
- هل كنت مع السيدة "**كريل**" عندما اكتشفت موت زوجها؟
- نعم. لقد غادرت معها القصر بعد طعام الغداء. كانت هي في طريقها إلى زوجها لترى إذا كان في حاجة إلى شيء، وكنت أنا في طريقي إلى الشاطئ لأبحث عن صدار من الصوف لـ"**أنجيلا**" التي كانت معتادة إهمال بعض ملابسها الخارجية في أي مكان. وافترقنا عند باب حديقة البحر. ولكني ما إن سرت بضع خطوات حتى سمعت صيحة السيدة "**كريل**". فعدت إليها مسرعة، حيث رأيت السيد "**كريل**" راقدا على المقعد المستطيل بجانب حامل الرسم ميتا. منذ ساعة على الأقل.

– هل كانت شديدة الاضطراب عند اكتشافها لموت زوجها؟

– ماذا تعني بهذا السؤال؟

إنني أريد أن أعرف انطباعك الخاص عن هذا الموقف.

– آه.. فهمت، أعتقد أنها كانت في حالة ذهول. ولكنها طلبت إليّ أن أسرع لاستدعاء طبيب. فنحن لم نكن بالتأكيد واثقين تماما بموته.

– وهل ذهبت واستدعيت الطبيب تليفونيا؟

– لا. إنما التقيت في الممر بالسيد "**ميرديث بليك**".. فكلفته بالقيام بهذه المهمة، ثم أسرعت عائدة إلى السيدة "**كريل**" فقد خشيت في هذه الحالة عليها.

– وهل وجدتها في هذه الحالة فعلا؟

– لا.. كانت ثابتة. هادئة تقريبا. أثبت وأهدأ كثيرا من "**إلزا جرير**" التي كانت، حين بلغها النبأ، في حالة عصبية رهيبة حتى كادت تقتل "**كارولين**" لو أتيحت لها الفرصة.

– هل معنى هذا أنها أدركت فورا أن "**كارولين**" هي قاتلة زوجها؟ ففكرت الآنسة "**ويليامز**" برهة ثم قالت:

– لا أظن أنها كانت واثقة تماما بأن "**كارولين**" سممت زوجها، ولكنها ارتابت في هذا فورا، وكانت تصرخ في عصبية رهيبة قائلة: «كل هذا بسبب تصرفك يا "**كارولين**"، لقد قتلته والذنب كله ذنبك». ولكنها لم تقل بصريح العبارة: «لقد سممته».

– وماذا كان شعور السيدة "**كريل**"؟

– الواقع أنني لا أستطيع أن أحدد شعورها تماما في تلك اللحظات، هل كان الفزع الذي سيطر عليها أم الحزن أم الندم؟!

– هل بدا عليها شيء من هذا؟

– لا أدري تماما، إنها كانت أقرب إلى الذهول منها إلى أي شيء آخر.

– هل كنت تتمنين أن يحكم ببراءتها؟

– نعم. من صميم قلبي.

– كأنك مقدرة شعور ابنتها في محاولتها البحث عن الحقيقة؟

– نعم كل التقدير.

– ألديك – إذن – مانع في كتابة ذكرياتك عن المأساة في دقة وتفصيل بقدر الإمكان؟

– وهل ستقرأ "**كارلا**" هذا التقرير؟

– نعم بالتأكيد.

– حسنا.. إنني لا أمانع، ولكن هل هي مصرة كل الإصرار على أن تصل إلى حقيقة موقف أمها من هذه الجريمة، مهما تكن هذه الحقيقة؟

– نعم. بلا شك.

– إني متفقة معها في هذا. فخير للإنسان أن يستريح إلى معرفة الحقيقة بدلا من محاولة خداع نفسه بالأوهام. وأعتقد أن "**كارلا**" حين تعرف الحقيقة كلها سوف تنسى الموضوع كله على مر الأيام.

– يا لها من مسكينة. إن الحقيقة ستذهب عكس ما ترجو وتأمل.

– أواثقة أنت بإدانة السيدة "**كريل**" إلى هذا الحد؟

– نعم. بالتأكيد.

- 6 -

كان مسكن "**أنجيلا وارين**" يشرف على حديقة "**ريجنت بارك**" الفاخرة، وكان الهواء في ذلك اليوم من أيام الربيع ينساب من النافذة إلى جوانب المسكن، رقيقا، ناعما، منعشا،يثير في النفس الشعور بجو الريف، لولا ذلك الضجيج الرهيب لحركة المرور بالشارع. واستدار "**بوارو**" عن النافذة حين سمع وقع أقدام "**أنجيلا**" في الغرفة، ولم تكن هذه أول مرة يرى فيها "**أنجيلا**"، فقد سبق أن استمع إلى

محاضرة لها في قاعة الجمعية الجغرافية، وكان قد أعجب بها إعجابا لا حد له. كانت بارعة في الإلقاء، رائعة في التعبير، ثابتة الأعصاب، غزيرة العلم، لا تتردد، لا تكرر نفسها، ولا تعجز عن الإجابة الصحيحة عن كل سؤال خاص بالموضوع بعد انتهاء المحاضرة. ولم ير في أثناء المحاضرة الجانب المشوه من وجهها. أما الآن وهو يراها عن كثب، فقد لاحظ أثر الجرح العميق الممتد من طرف عينها اليسرى إلى نهاية خدها. ولم تكن العين مغلقة، وإنما كانت، في الظاهر، تبدو سليمة على الرغم من فقدانها قوة البصر تماما وقد خطر لـ"**بوارو**"، وهو يرى "**أنجيلا**" بقامتها الطويلة، ووجهها الباسم، وجبينها العريض المشع بالعلم والذكاء أنها الشخصية الوحيدة التي نجحت تمامًا في الحياة من بين الشخصيات الخمس التي شهدت المأساة، لقد نجح "**فيليب بليك**" حقًّا في جمع المال. ولكن جمع المال لذاته لا يعتبر نجاحا في الحياة، أما "**ميرديث**" فقد ظل كما كان، جامدا، لا يتطور مع الزمن، وكأنما كان يعيش في العصور الماضية. وبدأت "**إلزا جرير**" حياتها بالجمال والشباب والمال والحب، وكان كل شيء يبشر بأنها ستكون من أسعد الناس في الحياة، فإذا بها، عقب المأساة ، تغدو من أكثر الناس شقاء. نعم. فليس من هو أشقى من الإنسان الميت الحي! أما الآنسة "**ويليامز**"، فقد عاشت، كمعظم الذين يحملون العلم والمعرفة إلى عقول التلاميذ، تعطي في الحياة ولا تأخذ وقد أخذت منها كل شيء ولم تعطها شيئا. أما "**أنجيلا**"، فقد عرفت، على الرغم من تشوه جانب وجهها كيف تظفر بذكائها وشجاعتها وحبها للمغامرة من الحياة بكل شيء:

بالمال، والشهرة، والمجد، والسعادة. ولم يكن الثمن غير هذا الأثر المشوه لجانب وجهها. ولكنها كما بدت لـ"**بوارو**" في تلك اللحظة، لم تكن تشعر بهذا التشويه لطول ما ألفته. وأدرك "**بوارو**" أيضا أن "**أنجيلا**" ليست من النوع الذي يحتاج معه الإنسان إلى اللف والدوران في الحديث ليصل إلى غرضه، ومن ثم تحدث إليها بصراحة عن زيارة "**كارلا لامرشان**" له. وعندئذ أضاء وجه "**أنجيلا**" بابتسامة

جذابة، وهي تقول:

– آه "**كارلا**" الصغيرة؟ أهي هنا ؟ أود أن أراها. فما أشد شوقي إليها !

– ألم يكن بينكما اتصال بريدي خلال هذه الأعوام الطوال؟

– اتصال بسيط جداً. فقد كنت، بعد المأساة، في مدرسة داخلية خارج البلاد، وكانت هي في "**كندا**"، ولم نتبادل إلا بعض الهدايا البسيطة في أعياد رأس السنة، وكنت أعتقد أنها ستبقى دائما في "**كندا**"، فإني لا أجد أي سبب يدعوها إلى العودة هنا.

– نعم. فقد كانت في جو جديد، وفي بيئة جديدة، وتحمل اسما جديدا، ولكن يبدو أن المسألة بالنسبة إليها لم تكن في مثل هذه السهولة! ثم راح يحدثها عن خطبة "**كارلا**" للشاب الذي يبادلها الحب، وعن رغبتها في الوصول إلى الحقيقة عن مأساة والديها وعن إيمانها العميق ببراءة أمها وعندئذ قالت "**أنجيلا**" بحماس:

– إنني أتمنى من صميم قلبي أن تنجح في هذ المهمة ويسرني أن أقدم في هذا السبيل كل مساعدة ممكنة.

– إذن فأنت تعتقدين أن هناك احتمالا في إثبات براءة السيدة "**كريل**" ؟

– إني شخصيا أؤمن بأن "**كارولين**" لم ترتكب هذه الجريمة، هذا هو رأيي منذ اللحظة الأولى.

– إنك تدهشينني بهذا الاعتراف يا آنسة "**وارين**"، فإن الجميع يعتقدون غير هذا!

– إن لهم العذر. فقد كانت الأدلة كلها ضد أختي، ولكنني أعرف عن يقين أن "**كارولين**" لم يكن في مقدرتها أن ترتكب أية جريمة قتل.

– هل يمكن لأي إنسان، أن يثق ثقة تامة بأن أي إنسان آخر منزه عن ارتكاب جريمة قتل، مهما تكن الظروف والأحوال؟

– لا يمكن بالتأكيد في بعض الحالات، وأنا أتفق معك على أن الحيوان الآدمي

كفيل بارتكاب أي جريمة في بعض الظروف الخاصة. أما في حالة "**كارولين**"، فإن لدي من الأسباب ما يجعلني أؤمن بأنها آخر من يرتكب جريمة قتل. وأنا أقدر هذه الأسباب أكثر من أي شخص آخر. ثم لمست أثر الجرح العميق على خدها وأردفت قائلة:

– أترى هذا؟ لعلك قد عرفت كيف حدث. ولما أومأ "**بوارو**" برأسه، أردفت قائلة:

– إن هذا من صنع "**كارولين**" وهو أيضا السبب الذي يجعلني أؤمن بأنها لا يمكن أن ترتكب جريمة قتل.

– إن بعض الناس يرون أنه، في الواقع، الدليل الذي يثبت استعدادها لارتكاب مثل هذه الجريمة.

– ولكن الحقيقة هي العكس، أو ينبغي أن تكون العكس، حقًّا إن ممثل الاتهام اتخذ من هذه الإصابة دليلا على تهور "**كارولين**" وعنف طباعها. إن الناس يظنون أن الفتاة التي كادت تقتل أختها الطفلة بدافع الغيرة، لا تتردد في قتل زوجها لهذا الدافع نفسه، ولكن لو حاول هؤلاء أن يحسنوا التفكير لعرفوا أن العكس هو الصحيح. وغمغم "**بوارو**" قائلا:

– هذا فضلا عن أن الإنسان المتهور السريع الغضب لا يلجأ إلى السم في ارتكاب جريمته. إن القتل بالسم يحتاج إلى تفكير وتدبير وثبات أعصاب. أما المتهور العنيف فإنه يحاول القتل بأي شيء يقع تحت يده. فلوحت "**أنجيلا**" بيدها، وقالت:

– ليس هذا ما أعنيه وإن كان لا يعدو الواقع. وإنما أعني شيئا آخر، وسأحاول أن أوضحه لك. لنفرض أنك إنسان عادي ولكنك شديد الغيرة كما هو الحال مع الكثيرين، ولنفرض أنك في سن الطيش والمراهقة والعجز عن السيطرة التامة على المشاعر والأعصاب، وأوشكت أن ترتكب جريمة قتل أخ صغير أو أخت. إذن فكر في الصدمة الرهيبة وفي الفزع، وكذلك الندم الذي سوف يملأ نفسك بعد ذلك.

إن مثل هذه المشاعر، كالفزع والندم، لا يمكن أن تزول من نفس فتاة مرهفة الحس مثل "**كارولين**" مهما مرت الأيام، وأنا لا أزعم أني كنت متأكدة من مشاعرها هذه في تلك الأيام، ولكني حين أذكر معاملتها لي بعد إصابتي، أدرك حقيقة الفزع والندم والألم الذي كان يستبد بها. إن هذا الحادث حادث إصابتي على يديها ظل يؤرقها، ويثقل عليها، ويلون تصرفاتها بلون خاص، إنه فسر موقفها بعد ذلك مني، وشدة حبها لي، وفرط عطفها عليّ، ومبلغ تعلقها بي. كانت تريد أن تعوضني عن إصابتي بكل شيء. ولو بحياتها إذا استطاعت ، وكانت معظم مشاجراتها مع زوجها بسببي، وكنت أشعر بالغيرة منه، وأدبر له "مقالب" صبيانية سخيفة، ومع ذلك كانت "**كارولين**" تقف دائما بجانبي، وأريد الآن أن أقول إن النتيجة التي ترتبت على تهورها في إصابتي، وهي شعور دائم في أعماق نفسها يجعلها تحذر من ارتكاب عمل آخر مماثل، كانت "**كارولين**" دائما تراقب نفسها بنفسها، كانت في فزع مستمر من أن يتكرر هذا الحادث بصورة أو بأخرى وقد لجأت في مراقبة نفسها إلى وسائلها الخاصة، ومن هذه الوسائل استعمال العبارات العنيفة القاسية في أثناء غضبها من شيء. فكلنا نعرف أن مثل هذا الانطلاق في الألفاظ القاسية، هو عادة صمام الأمن الذي يهدئ من ثورة الغضب المشتعل، ويحول الرغبة في التحطيم إلى لا شيء سوى كلمات لا تضر ولا تنفع. لقد أدركت هي بالتجربة جدوى هذه الوسيلة. أدركت أن العبارات العنيفة التي تطلقها في أثناء الغضب، هي صمام الأمن لطبيعتها المندفعة المتهورة وهذا هو السبب الذي كان يجعلها تقول لزوجها ساعة الغضب مثل هذه العبارات : «سأمزقك إربا، وأضع لحمك في زيت مغلي» أو «إذا تماديت في إغضابي فسوف أقتلك حتما» وكانت سريعة الغضب، كثيرة الشجار، وكانت ترى في شجارها تخفيفا عن طبيعتها العنيفة المندفعة ،ولهذا كثيرا ما كانت تقع بينها وبين "**أمياس**" مشادات عجيبة.. وأحيانا طريفة.

– نعم، قيل لي إنهما كانا يتشاجران كالقطة والكلب.

– تماما، ولكن الشيء الذي لا يفهمه الناس عنهما هو أنهما كانا يستمتعان بهذه المشاجرات. نعم. إنني أذكر هذه الحقيقة: كان كل منهما يوجه في أثناء الغضب إلى الآخر أعنف وأقسى العبارات، ولكن هذا كله لم يكن يؤثر في الشعور الحقيقي الذي يكنه كل منهما لصاحبه، بعض الأزواج يحبون الحياة الرتيبة المسالمة. ولكن "**أمياس**" كفنان، لم يكن يحب هذه الحياة الرتيبة، كان يثير ضجة صاخبة حامية إذا فقد مثلا زر قميصه.. وكانت هي تكيل له الصاع صاعين ثم لا يلبثان أن يهدآ ويتصافيا كأنما أزاح كل منهما عن كاهله عبئا ثقيلا أو أفرغ من نفسه شيئا محبوسا. ولوحت "**أنجيلا**" بيدها في ضيق وأردفت قائلة:

– لو أنهم لم يبعدوني عن جو المحاكمة، لذكرت هذه الحقيقة أمام القضاة. ثم هزت كتفيها وعادت تقول:

– ولكني أعتقد أنهم ما كانوا ليصدقوني، كما أنه لم يكن في مقدرتي يومذاك أن أوضح للمسؤولين حقيقة الموقف بين الزوجين كما أفهمه الآن.. هل تفهم ما أعني؟

– تمام الفهم، ولكن ماذا كان شعورك الخاص في ذلك الحين يا آنسة "**وارين**"؟ فتنهدت "**أنجيلا**" وقالت:

– أعتقد أن شعوري يومذاك كان مزيجا من الحيرة والعجز، كنت في شبه حلم مزعج عجيب، وأنا أرى "**كارولين**" مقبوضا عليها بعد ثلاثة أيام من الحادث، وأذكر أني أعلنتها ثورة صبيانية جامحة على الجميع، ولكن "**كارولين**" نصحتني بالتزام السكينة والهدوء، وطلبت من المسؤولين ألا يزجوا بي في هذه القضية، فذهبت إلى أسرة صديقة في الريف، ولما تقرر عدم الحاجة إلى سماع شهادتي، تمت الترتيبات لترحيلي إلى مدرسة داخلية في الخارج: في "**ميونيخ**". وقد رفضت الذهاب في أول الأمر، ولكن الجميع أقنعوني أن هذه هي إرادة "**كارولين**" وأن الواجب عليّ، في مثل هذه الظروف، أن أعاونها بالطاعة، فذهبت، وبعد ثلاثة أشهر علمت بمنطوق الحكم الذي صدر ضدها، ولما حاولت زيارتها، رفضت في

إصرار . . ولست أدري لماذا.

– لأنها أرادت أن تجنبك الآلام النفسية، حين ترين أختك الحبيبة في ملابس السجن؟

– ربما.

ونهضت "**أنجيلا**" واقفة، ثم استطردت تقول:

– بعد صدور الحكم بإعدامها. أي قبل تخفيفه إلى السجن المؤبد أرسلت أختي إليّ خطابا لم أطلع عليه أحدًا، ولكنني أعتقد أنه لا مانع من أن أطلعك عليه الآن. فإنك بعد أن تقرأه ، ستعرف أي نوع من النساء كانت "**كارولين**" ، ويمكنك إذا أردت، أن تأخذه لتطلع عليه "**كارلا**" . وغادرت الغرفة، ثم لم تلبث أن عادت ومعها خطاب وصورة شمسية. ثم قالت:

– هذه صورتها، أتراها صورة قاتلة؟ ونظر "**بوارو**" إلى الصورة بإمعان، إلى الوجه البيضاوي والملامح الرقيقة والعينين الهادئتين. إنه وجه امرأة غير واثقة بنفسها . امرأة قوية العاطفة، ذات جمال خلقي، ولكن تنقصها قوة الشخصية والحيوية اللتين تتمتع بهما ابنتها. تنقصها هذه الروح المرحة المشغوفة بالحياة ومباهجها التي ورثتها "**كارلا**" عن أبيها. قالت "**أنجيلا**" :

– أما وقد رأيت صورتها، فاقرأ خطابها. وبسط "**بوارو**" الخطاب برفق وراح يقرأ:

« حبيبتي "**أنجيلا**" الصغيرة :

« سوف تسمعين أخبارا سيئة ستحزنك، ولكنني أريد أن أؤكد لك أن كل شيء معي كما ينبغي، إنني لم أكذب عليك يوما، وأنا الآن لست أكذب عليك إذا قلت لك إنني في الواقع سعيدة، وإنني أشعر بإحساس عميق بالسكينة والسلام والعدالة، لم أشعر به من قبل، تأكدي يا حبيبتي أنني لست حزينة ولا يائسة، ولا نادمة على أي شيء، فلا تحاولي أن تعودي بذاكرتك إلى الماضي، فتشعري بالحزن والأسى من أجلي. انظري إلى الأمام واهتمي بحياتك واطلبي النجاح، وأنا أعرف

أنك قادرة على النجاح. وعلى الانتصار. أما أنا، فسوف أعود إلى "**أمياس**"، ولست أشك في أننا سنبقى معا، وما كان في مقدرتي أن أستمر في هذه الحياة الدنيا بدونه. إنني أرجو منك شيئا واحدا، هو أن تكوني سعيدة. وقد قلت لك إنني سعيدة، فإن على الإنسان أن يدفع الثمن، وأن يشعر في النهاية بالسكينة والسلام».

وبعد أن قرأ "**بوارو**" الخطاب مرتين أعاده إلى "**أنجيلا**" قائلا:

– إنه خطاب جميل رائع يا آنسة. خطاب مدهش عجيب.

– لقد كانت "**كارولين**" حقًّا شخصية عجيبة مدهشة.

– وهل أدركت أن هذا الخطاب يدل على براءتها؟

– نعم.. بلا شك.

– ولكنها لم تذكر بصراحة.

– لأن "**كارولين**" لم يخطر ببالها يوما أنها مذنبة.

– ربما.. ربما.. ولكن يمكن من جهة أخرى أن يدل هذا الخطاب على أنها أذنبت، ودفعت الثمن. وأصبحت في حالة نفسية هادئة.

– فقالت "**أنجيلا**":

– لا لا.. إنني واثقة تماما ببراءتها.

– الله يعلم أني أتمنى أن تكون ثقتك في محلها. ولكن إذا لم تكن أختك هي المذنبة، فماذا حدث حقًّا؟ فأومأت برأسها وقالت:

– هذه هي المشكلة، وأعتقد أن التعليل الوحيد هو أن "**أمياس**" مات منتحرا.

– ولكن هل تعتقدين – في قرارة نفسك – أن "**أمياس**" من الأشخاص الذين يحلون مشاكلهم بالانتحار؟

– إنه في رأيي آخر من يفعل هذا، ولكن لكل قاعدة شواذ فلعل الشخص الذي يبدو للجميع أنه محصن ضد الانتحار، هو أول من ينتحر في ساعة يأس. إننا في الواقع لا نعرف عن حقائق النفس البشرية إلا القشور.

- أليس هناك أي احتمال آخر في رأيك؟ فصمتت "**أنجيلا**" برهة، ثم قالت:

- إنني أفهم ماذا تعني، ولكنني في الواقع لم أفكر من قبل في أي احتمال آخر. إنك تعني أن شخصا آخر قتل "**أمياس**"؛ قتله عن عمد وسبق إصرار وبعد تدبير محكم.

- أليس هذا محتملا؟

- إن الاحتمال في هذه الحالة يكاد يتساوى مع احتمال انتحاره.

- إذن، لنبحث عن هذا الاحتمال. ونحاول أن نعرف أي الأشخاص الخمسة هو أقرب الجميع إلى هذا الاحتمال.

- حسنا. دعني أفكر. إنني شخصيا لم أقتله. ولم تقتله "**إلزا**" على وجه اليقين، فقد كادت تفقد عقلها حين علمت بموته، فمن يتبقى؟ "**ميرديث بليك**". لقد كان دائما كالقطة الأليفة الهادئة. حقًّا إنه كان يحب "**كارولين**" في صمت، وإن هذا الحب يصلح أن يكون باعثا على القتل، ولكن، على هذا الفرض، لماذا يقتل "**أمياس**" وهو يعلم أنه سيطلق "**كارولين**" وسيتزوج "**إلزا**"؟ هذا عدا أن "**ميرديث**" ليس بالرجل الذي يلجأ إلى القتل لتحقيق أهدافه. فمن يتبقى بعد ذلك؟

- "**فيليب بليك**"، والآنسة "**ويليامز**". فصمتت "**أنجيلا**" برهة، ثم قالت:

- كانت الآنسة "**ويليامز**" شديدة الحب لأختي، ولم تكن راضية عن تصرفات "**أمياس**"، ولكن هل يكفي هذا الحب للزوجة، وهذا النفور من الزوج ليكونا سببا يدفع سيدة ذات مبادئ وخلق كريم إلى ارتكاب جريمة قتل؟

- أنا شخصيا لا أعتقد هذا.

- لم يبق إذن غير "**فيليب بليك**". وما دمنا نتحدث عن الاحتمالات فأنا أرى أن احتمال ارتكابه للجريمة هو أقرب هذه الاحتمالات كلها إلى الصواب!

- لقد أثرت فضولي جدا يا آنسة "**وارين**". هل يمكن أن أعرف لماذا؟

- إنني لا أعرف شيئا محددا عنه، ولكنني أعتقد مما أذكره أنه شخص محدود

الخيال، ضيق الأفق. ومثل هذا الشخص قد يلجأ إلى أقسى الوسائل لتحقيق أغراضه.

– وهل كان لـ"**فيليب**" أغراض خاصة؟

– إني لا أدري على وجه التحديد، ولكن الإنسان أحيانا يذكر أشياء تعيد إلى ذاكرته فجأة أشياء مماثلة. فقد حدث وأنا أقيم في فندق على ساحل "**الريفييرا**" أني رأيت سيدة تخرج في منتصف الليل من غرفة شاب أعزب لا يمت إليها بصلة قرابة، وقد فوجئت هي برؤيتي لها. وكانت على وجهها أمارات عجيبة. أمارات المرأة التي ضبطت وهي تغادر خلسة غرفة عشيقها. وقد ذكرني هذا الموقف بموقف آخر رأيته في صغري دون أن أفهم يومذاك معناه، ولكني فهمت هذا المعنى أخيرا.

– أي موقف تعنين؟

– موقف أختي "**كارولين**" وهي تخرج في سكون الليل من غرفة "**فيليب**" في أثناء إقامته في قصر "**ألدربري**". إني لم أفهم يومذاك معنى خروجها من غرفته في مثل هذه الساعة، ولكنني فهمته بعد أن رأيت الأمارات نفسها التي ارتسمت على وجه سيدة الفندق في ساحل "**الريفييرا**"، أمارات وجه المرأة الخارجة من غرفة عشيقها.

– ولكن هذا عجيب يا آنسة "**وارين**"، لقد فهمت من حديث "**فيليب**" أنه كان يكره أختك أشد الكراهية.

– نعم، أعرف، ولكن هذا ما حدث.

- 7 -

كتب "**فيليب**" ما يلي عن مأساة "**كريل**" وزوجته: كانت صداقتي لـ"**أمياس كريل**" ترجع إلى عهد الطفولة. فقد كان بيت أسرتي قريبا من بيت أسرته في الريف.. وكان "**أمياس**" أكبر سنا مني بعامين.. وكثيرا ما لعبنا معا، وقضينا

الإجازات المدرسية معا على الرغم من أننا لم نكن في مدرسة واحدة. وأستطيع أن أقول وأنا جد مطمئن إلى هذا القول :إن ما أعرفه عن أخلاق "**كريل**" وطباعه يجعلني أستبعد تماما كل ادعاء بأنه مات منتحرا؛ لقد كان أشد الناس حبا للحياة، واستمتاعا بها، وإقبالا عليها . . كان موفور الشباب والجمال والقوة، وكان في طريق المجد والشهرة والثراء. فلماذا ينتحر؟ أينتحر لأنه شعر بتأنيب الضمير بسبب معاملته لزوجته؟ إن هذا الأمر يثير السخرية والضحك. أما زوجته "**كارولين**"، فقد كنت أعرفها منذ صباها . . منذ أن كانت تأتي للإقامة مع أقاربها من أسرة "**كريل**" . وكانت يومذاك، فتاة مندفعة، متهورة، لا تتحكم في أعصابها، وعلى الرغم من جمالها ، وجاذبيتها، فقد كانت من الفتيات اللائي يصعب على الإنسان أن يعيش سعيدا بالزواج من إحداهن. وقد ألقت شباكها فورا حول "**أمياس**"، ولم يكن هو في أول الأمر ميالا إليها، ولكنه لم يلبث، بعد أن ألفها، وخرج معها بمفرده كثيرا. أن تعلق بها، فتمت خطبتهما. وشعر أصدقاء "**أمياس**" المخلصون بالقلق لهذا الزواج؛ لأنه كان من الواضح أن "**كارولين**" ليست بالزوجة الصالحة لـ"**أمياس**" . وكان هذا هو السبب في وجود شيء من النفور بين "**كارولين**" وأصدقاء "**أمياس**" المخلصين في السنوات الأولى من الزواج.ولم يكن "**أمياس**" بالإنسان الذي يتخلى عن أصدقائه بسهولة لأي سبب، وهكذا لم تلبث العلاقة الوطيدة والصداقة الأكيدة أن عادت كما كانت بيني وبينه . . وبدأت أتردد على قصر "**ألدربري**"، وقد جعلني هو إشبينا – والدا روحيا – لابنته "**كارلا**" . . ولعل هذا هو الدليل الأكيد على مدى صداقتنا الرائعة. ونعود إلى المأساة، فأقول: إنني دعيت للإقامة ضيفا في قصر صديقي "**كريل**" بـ"**ألدربري**" قبل وقوع الحادث بخمسة أيام – هكذا كان في مفكرتي – أي في اليوم الثالث عشر من شهر أيلول (سبتمبر) وقد شعرت منذ اللحظة الأولى بتوتر الجو بين "**أمياس**" و"**كارولين**" . فقد كانت الآنسة "**إلزا جرير**" تقيم أيضا في القصر. وكان "**أمياس**" مشغولا برسم صورة زيتية لها. وكانت تلك أول مرة أرى فيها الآنسة "**جرير**" بعد أن

سمعت عنها من "**أمياس**". وقد تبينت من الوهلة الأولى أن صديقي غارق إلى أذنيه في حب الفتاة. وأنها تكاد تلتهمه بعينيها من فرط الحب كلما رأته. وكان الواضح أنها هي التي أوقعت "**أمياس**" في شراكها على الرغم من فارق السن بينهما، وعلى الرغم من ثرائها الواسع. أما "**كارولين**" فكانت غيورا بطبيعة الحال كالمعتاد، وكانت غيرتها الشديدة هي السبب الذي يدفع "**أمياس**" إلى إلقاء نفسه بين الحين والآخر في أحضان هذه المرأة أو تلك. والمهم أن الجو كان شديد التوتر. وأذكر أن "**أمياس**" قال لي حين رآني: « حمدا لله أن جئت يا صديقي، إن الحياة بين أربع نساء تكفي لأن ترسل الإنسان إلى مستشفى المجاذيب»، وكان يقصد زوجته، و"**إلزا جرير**"، والمربية الآنسة "**ويليامز**" و"**أنجيلا وارين**". والواقع أن الجو كان مضطربا حقًّا.. فقد كانت "**كارولين**" توشك على الانفجار من فرط الغيرة، وكانت في الوقت نفسه تعامل "**إلزا**" بطريقة مهذبة ولكنها قاطعة كالسيف، أما "**إلزا**" فكانت أكثر صراحة وخشونة في معاملتها لـ"**كارولين**".. كانت واثقة بنفسها وبالحب المتبادل بينها وبين "**كريل**". وكانت تعرف أنها دخيلة، وأنها مخطئة ببقائها في القصر. وأنها ستحطم حياة زوجية، ولكنها لم تكن مهتمة بشيء من هذا. لم يكن لديها من التربية العالية، أو الحسب الرفيع، أو المبادئ المثالية ما يوقفها عند حدها.. كان همها كله أن تسعد ولو على حساب الآخرين.. وكان "**أمياس**" يقضي معها معظم أوقاته – في أثناء رسم اللوحة، وفي فترات الفراغ.. أما علاقته بـ"**أنجيلا وارين**" فكانت تضطرب بين الصفاء، والعبث الصبياني والمداعبات، ثم المشاجرات وتبادل الألفاظ الحادة. ثم عودة الصفاء وهكذا، حتى قرر في النهاية إلحاقها بمدرسة داخلية. وأما الآنسة "**ويليامز**"، فكان يقول لي عنها: « هذه المرأة الحيزبون تكرهني كما تكره الموت. إنها تجلس دائما مزمومة الشفتين، تنظر إليّ باحتقار شديد، كأني حشرة خبيثة. هذه اللعينة عدوة الرجال» ثم أردف قائلا: « اللعنة على النساء جميعا. إذا أراد الرجل أن ينعم بالسكينة والسلام؛ فيجب أن يعيش بعيدا عنهن». فقلت له: « ما كان ينبغي أن تتزوج فأنت

بطبيعتك آخر من يصلح للحياة الزوجية». فقال إن الحديث في هذا الموضوع جاء بعد أوانه، وإن "**كارولين**" سوف تغتبط بالخلاص منه. وكانت تلك أول مرة أدرك فيها أنه ينوي الانفصال عنها، فقلت له: «إذن فإن علاقتك بهذه الفتاة الحسناء "**إلزا**" جادة كل الجد هذه المرة». فغمغم قائلاً: «إنها حسناء! أليس كذلك؟ إنني أحيانا أتمنى لو أني لم أرها..» فقلت له جادا:

– اسمع يا صديقي، ينبغي لك أن تتحكم في عواطفك، وأن تكف عن هذه العلاقات المستمرة بالنساء» فنظر إليَّ ضاحكا وقال:

– من السهل عليك أن تتحدث وتنصح، ولكن ليس من السهل عليّ أن أبتعد عن النساء، وحتى لو ابتعدت أنا، فإنهن لن يتركنني وشأني. ثم هز كتفيه وقال: «على كل حال سوف ينتهي كل شيء على خير، وستكون هذه الصورة من أروع أعمالي. وظلت حالة التوتر قائمة حتى بلغت ذروتها في ظهر اليوم السابع عشر من شهر أيلول (سبتمبر). أي قبل المأساة بيوم. كنا جميعا نتناول طعام الغداء، وكانت "**إلزا**" توجه الحديث الضاحك العابث إلى "**أمياس**" فقط، وكأننا غير موجودين معها، وكانت "**كارولين**" توجه إلينا حديثها الناعم والملفوف الذي تبدو كلماته عادية، ولكنها تقطع كالسكين وهي تتحدث بطريقة غير مباشرة عن استهتار بعض الفتيات، وعن "الأصل الحقير" الذي يلون تصرفات صاحبه بالشر والسوء. وانتقلنا بعد طعام الغداء إلى قاعة الاستقبال، وهناك أعربت عن إعجابي بتحفة جميلة من خشب الزان المحفور المصقول، فقالت "**كارولين**" بهدوء:

– إنها صناعة مثال نرويجي شاب، وقد أعجبت أنا و"**أمياس**" ببراعته وأعتقد أننا سنزوره حين نقضي جانبا من فصل الصيف الآتي في "**النرويج**". وكان هدوء حديثها وما ينم عنه من ثقة تامة ببقائها مع "**أمياس**"، أكثر مما تطيق "**إلزا**" التي ما كانت لتتقبل أن تهزم في أية محادثة، ومن ثم قالت بعد فترة صمت: «يمكن أن تبدو هذه الغرفة أجمل بكثير لو أخليناها من بعض الأشياء السمجة التي لا معنى لها.. وأعتقد أنني حين أقيم هنا. سأزيل منها كل السخافات والنفايات،

وسأضع على النوافذ أستارا في لون النحاس، فإذا انعكست عليها أشعة شمس الأصيل، بدت في لون الذهب. فما رأيك يا سيد "**فيليب بليك**"؟» وقبل أن أجيب، قالت "**كارولين**" بصوت ناعم، ولكنه أحد من السيف:

– هل تنوين شراء هذا القصر يا "**إلزا**" ؟ فقالت "**إلزا**" :

– ليس من الضروري أن أشتريه لكي أقيم فيه. فقالت "**كارولين**" بصوت لا أثر فيه للرقة هذه المرة:

– إذن ماذا تعنين؟ فضحكت "**إلزا**" بوقاحة وقالت:

– هل من الضروري يا "**كارولين**" أن نتظاهر بالغباء؟ أنت تعرفين تماما ما أعني.

– وإذا كنت لا أعرف ؟

– لا تكوني كالنعامة التي تخفي رأسها في الرمال! أنت تعرفين جيدا أنني أتبادل الحب مع "**أمياس**"، وليس هذا قصرك، وإنما قصره، وبعد أن يتم زواجنا سأعيش فيه.

– يبدو أنك مجنونة يا "**إلزا**" .

– لا يا عزيزتي، إنني عاقلة جدًّا، ويحسن بك أن تعترفي بالواقع. وتحرري "**أمياس**" من قيد الزواج بك.

– إنني لا أصدق كلمة واحدة مما تقولين. وفي تلك اللحظة، دخل "**أمياس**" الغرفة، فقالت لها "**إلزا**" :

– إذا كنت لا تصدقين، فهذا هو "**أمياس**". اسأليه. فقالت "**كارولين**" لـ"**أمياس**" :

– "**أمياس**"، "**إلزا**" تزعم أنك ستتزوجها، فهل هذا صحيح؟ فاضطرب "**أمياس**" المسكين، وبدا كالسمكة في الشبكة، ثم التفت إلى "**إلزا**" وقال بعنف:

– ما معنى هذا بحق السماء؟ ألا تعرفين كيف تمسكين لسانك؟ فقالت له "**كارولين**" :

– إذن الأمر صحيح؟ فقال وهو يزداد اضطرابا:

– إنني لا أريد أن أناقش هذا الموضوع الآن فقالت "**كارولين**" :

– ولكني أريد مناقشته فورا. فتدخلت "**إلزا**" في الحديث، قائلة:

– أعتقد يا "**أمياس**" أن من حق "**كارولين**" أن تعرف الحقيقة. فقالت "**كارولين**" بهدوء:

– أحقًّا هذا يا "**أمياس**"؟ ولما ازداد اضطراب "**أمياس**" وشعوره بحرج الموقف أردفت هي قائلة:

– أرجو منك أن تصارحني. فمن حقي أن أعرف. فقال في صوت الإنسان الذي لا يجد مفرا من الاعتراف بالحقيقة:

– نعم، إن ما تقوله "**إلزا**" صحيح، ولكنني لا أريد أن أناقش الأمر الآن. ثم غادر الغرفة، وغادرتها أنا وراءه، لأني أبيت أن أبقى في ذلك الجو المضطرب مع المرأتين، وفي الشرفة، سمعته يسب ويلعن بعنف ثم قال لي:

– لماذا لم تمسك هذه اللعينة لسانها وتكتم السر حتى أفرغ على الأقل من رسم اللوحة؟ إنها اللوحة يا "**فيليب**" التي تهمني الآن.. إنها أروع فني.. إنني لن أسمح لامرأتين غيورين أن تحرماني من إتمامها. ثم ذهب فجأة، وقال:

– إن النساء عموما حمقاوات لا يفهمن شيئا، فقلت له باسما:

– ولكنك أنت الذي جلبت على نفسك هذا كله يا صديقي.

– إنني أعرف. ولكن يجب أن تعرف أن أي إنسان كفيل بالوقوع في غرامها إذا سمحت له هذه الشيطانة، بل إن على "**كارولين**" أيضًا أن تلتمس لي العذر.

– ولكن، لا تنس واجبك يا "**أمياس**" نحو ابنتك الطفلة. فأمسك بذراعي وقال:

– أنا أعرف أنك تريد لي الخير يا "**فيليب**"، فأرجو أن تخفف من تأنيبك لي، إنني أعرف كيف أسوي أموري في النهاية، وثق بأن كل شيء سينتهي على خير. هكذا كان "**أمياس**".. متفائلا دائما.. مبتهجا أبدا.. ولا أذكر هل تبادلنا حديثا آخر أم لا.. ولكني أذكر أن "**كارولين**" أقبلت إلى الشرفة وهي أتم ما تكون هدوءا وثباتا وقالت لـ"**أمياس**" بصوت عادي:

– هل أستعد للذهاب إلى "**ميرديث**"؟ لا تنس أنه دعانا لشرب الشاي في بيته بعد ظهر اليوم. فنظر إليها "**أمياس**" دهشا ثم قال متلعثما:

– نعم.. نعم.. لقد نسيت.. ولكننا سنذهب بالتأكيد، ولما غادر "**أمياس**" الشرفة لارتداء ملابس الخروج، والتقطت "**كارولين**" بعض الأزهار من آنية الأزهار بالشرفة، واستدارت إليّ، وراحت تتحدث، تحدثت طويلا عن الجو وعن احتمال الذهاب معا إلى صيد السمك إذا ظل الجو صافيا هكذا. وقد عجبت لهدوئها المفاجئ، وتوجست شرا، وكان ينبغي في تلك اللحظة أن أكون على حذر، وأن أدرك أنها دون شك قررت أن تقضي على "**أمياس**"، وأن هذا القرار هو سر هدوئها المفاجئ. فقد كنت دائما أعرف أن "**كارولين**" امرأة شديدة الخطر على الرغم مما يبدو عليها من رقة وجاذبية أحيانا، ولكنني، بحماقتي، ظننت أنها خضعت للأمر الواقع، وأنها سوف تستسلم، لنصيبها في الحياة. ومضينا في الطريق إلى أخي "**ميرديث**"، أنا و"**كارولين**" و"**أنجيلا**" في المقدمة و"**أمياس**"، ثم "**إلزا**" بمفردها.. تسير شامخة الرأس.. باسمة! ووصلنا إلى بيت "**ميرديث**". ولست أذكر شيئا من الحديث الذي دار في أثناء تناولنا الشاي، ولكني أذكر أن "**ميرديث**" وقد لاحظ اضطراب الموقف وعرف شيئا مما سيحدث بين "**كارولين**" و"**أمياس**"، انفرد بي بعد الفراغ من الشاي وقال لي:

– اسمع يا "**فيليب**". مستحيل أن يفعل "**أمياس**" شيئًا من هذا.

–أؤكد لك أنه سيتزوج بهذه الفتاة في أقرب فرصة.

– ولكن.. كيف يترك زوجته وابنته ليتزوج بفتاة تصغره بعشرين عاما؟

– لا تنزعج من هذه الناحية.. إن "**إلزا**" تعرف تماما ما تريد.. وسوف تظفر به. وانتهت محادثتنا عند هذا الحد. وكنت أعرف أن "**كارولين**" بعد طلاقها، سوف تتزوج من "**ميرديث**" الذي ظل مخلصا لحبها كل هذه السنوات.. والعجيب أني لا أتذكر بالتفصيل ماذا حدث في غرفة المعمل.. فقد كنت دائما أضيق بحديث "**ميرديث**" عن هوايته في استخراج العقاقير من النباتات الطبية، ومن ثم وقفت

معهم مستغرقا في أفكاري الخاصة؛ ولهذا لم أر "**كارولين**" وهي تختلس كمية سم "**الكونين**"، ولكني أذكر أن "**ميرديث**"، بعد مغادرتنا غرفة المكتبة، قرأ لنا فصلا ممتعا رائعا عن مأساة "**سقراط**"، واللحظات الأخيرة من حياته بعد أن أعطي كأس سم "**الكونين**" ليشربه. وليس هناك ما يستحق التسجيل من أحداث هذه الليلة، ولكني أذكر أن "**أنجيلا**" تشاجرت بعنف مع "**أمياس**" قبل أن تأوي إلى الفراش بشأن قراره لإلحاقها بمدرسة داخلية. وأسرعت الآنسة "**ويليامز**" وراء تلميذتها لتهدئ من ثورتها، وغادرت "**كارولين**" الغرفة إلى مخدعها، ومضى "**أمياس**" و"**إلزا**" إلى الحديقة، أما أنا، فقد سرت بمفردي في سكون الليل. وفي اليوم التالي، هبطت إلى قاعة الطعام في ساعة متأخرة من الصباح، ولم يكن بها أحد، فتناولت الفطور بمفردي وتجولت قليلا، ورأيت الآنسة "**ويليامز**" تبحث هنا وهناك عن "**أنجيلا**" التي هربت منها حتى لا تخيط جونلتها بنفسها.. ثم عدت إلى صالة الطابق الأول حيث سمعت مشاجرة حامية كانت دائرة بين "**أمياس**" وزوجته في غرفة المكتبة، وقد سمعتها تقول بوضوح وبنفور شديد:

– هكذا أنت دائما مع نسائك، لسوف أقتلك يوما ما. وسمعت "**أمياس**" يرد عليها قائلاً:

– لا تكوني حمقاء يا "**كارولين**". فقالت:

– بل إني أعني ما أقول. ولم أشأ أن أسمع أكثر من هذا، فغادرت الصالة إلى الشرفة الكبيرة، حيث رأيت "**إلزا**" جالسة على مقعد مستطيل تحت نافذة غرفة المكتبة وكانت النافذة مفتوحة؛ ولهذا أعتقد أنها سمعت كل كلمة دارت بين الزوجين. ولكنها حين رأتني، نهضت مسرعة، وأقبلت نحوي باسمة وتناولت ذراعي، وقالت إن الجو في ذلك اليوم جميل.. فيالها من فتاة قاسية لا ترحم.. تتغزل في جمال الجو بينما الخصومة دائرة بين الزوجين داخل القصر. وبقينا في الشرفة بضع دقائق نتحدث، ثم إذا بـ"**كريل**" يقبل نحونا مضطرب الوجه، ويمسك بكتف "**إلزا**" في شيء من العنف ويقول لها:

- هلم.. فقد آن وقت الرسم.. إنني أريد أن أفرغ من الصورة اليوم. فقالت له: حسنا، فسوف آتي بسترتي الصوفية لأضعها عل كتفيّ، فإن الهواء بارد في حديقة البحر. ولما دخلت القصر قال لي "**أمياس**":

- هؤلاء النساء.. ولم يزد، وبقينا صامتين حتى عادت "**إلزا**"، ومضت معه إلى حديقة البحر، ودخلت أنا إلى القصر، ورأيت "**كارولين**" واقفة في الصالة في شبه ذهول، حتى خُيِّل إليّ أنها لم ترني وإنما سمعتها تقول بوضوح:

- يا للقسوة.. يا للاستهتار. ثم صعدت إلى الطابق الثاني دون أن يبدو عليها أنها رأتني أو شعرت بي، وكأنما هي مشغولة الذهن بتدبير شيء.. وأعتقد وإن كان ليس من حقي أن أقول هذا، أنها صعدت لتحضر السم الذي قررت أن تقتل به زوجها.. وفي تلك اللحظة دق جرس التليفون، فلم أنتظر حتى يرد عليه أحد الخدم وإنما تناولت السماعة، فإذا أخي "**ميرديث**" يخبرني بأمر اختفاء كمية من سم "**الكونين**" من معمله. ولست بحاجة لأن أعيد ما قلته بهذا الصدد، وإنما يكفي القول أني طلبت من "**ميرديث**" الحضور فوراً، وذهبت إلى شاطئ الخليج لألتقي به ومررت في طريقي بسور حديقة البحر حيث سمعت "**أمياس**" و"**إلزا**" يتبادلان الحديث في بهجة وانطلاق ومرح.. وكان "**أمياس**" يقول إن الجو في ذلك اليوم حار بشكل عجيب بالنسبة إلى شهر أيلول (سبتمبر) وقالت له "**إلزا**" إن الهواء البارد الذي يهب عليها من البحر جعل عضلاتها تتيبس وهي جالسة أمامه بغير حراك، وأردفت قائلة:

- ألا يمكن يا حبيبي أن تدعني أستريح قليلا؟ وسمعت "**أمياس**" يصيح بها:

- لا لا. ابقي كما أنت.. فإنني أسير سيرا حسنًا في اللوحة، وأؤكد لك أنها ستكون رائعة.. لا تقطعي حماسي للعمل. وسمعتها تضحك قائلة:

- يا لك من وحش قاس.. ووصلت إلى شاطئ الخليج حيث رأيت "**ميرديث**" يغادر الزورق. وشرعت أتحدث إليه بشأن السم المسروق، ولما تأكدت تماما من أن كمية "**الكونين**" سرقت حقًّا من معمله، قلت له لابد أن تكون "**كارولين**" هي السارقة حتى تقضي على "**إلزا**" وتحتفظ بزوجها، ولكن "**ميرديث**" أبى أن

يصدق أن تهبط "**كارولين**" إلى حد ارتكاب الجريمة، وأن من المرجح أن تكون "**إلزا**" هي السارقة، وهكذا بقينا نتجادل، ثم قررنا أن نتحرى الأمر في روية وهدوء، وأن ينفرد كل منا في الوقت المناسب بـ"**كارولين**" و"**إلزا**" لمحاولة استدراجهما من مغبة هذا العمل، وكنا نتحدث في هذا الأمر ونحن صاعدان في الممر إلى القصر، ولما اقتربنا من سور حديقة البحر سمعنا ما يشبه المشاجرة بين "**أمياس**" و"**كارولين**"في الحديقة، وقد سمعنا "**كارولين**" تقول لزوجها:

– إنك قاس على الفتاة أكثر مما ينبغي، ثم إذا بباب الحديقة يفتح، وتخرج "**كارولين**" مضطربة الوجه، ثم تبتسم لنا وتقول إنها كانت تتناقش مع "**أمياس**" بشأن إلحاق "**أنجيلا**" بالمدرسة وإنه مصر على رأيه، وفي تلك اللحظة، أقبلت "**إلزا**" من ناحية القصر حاملة على ذراعها معطفا خفيفا من الصوف الأخضر، فلما رآها "**أمياس**"، قال لها:

– هلم عودي إلى مكانك لأواصل الرسم، فإني لا أريد أن أضيع الوقت. وعاد إلى حامل الرسم ثم سمعته يقول متأففا:

– لماذا لا توجد هنا بعض زجاجات البيرة المثلجة بدلا من هذه الساخنة الرديئة المذاق؟ فقالت له "**كارولين**":

– سوف آتي إليك بزجاجة من ثلاجة القصر. فغمغم "**أمياس**" قائلاً:

– شكرًا. ثم أغلقت باب الحديقة وصعدت معنا إلى القصر. وهناك دخلت هي، وجلست أنا مع "**ميرديث**" في الشرفة، وبعد خمس دقائق أحضرت لنا "**أنجيلا**" زجاجتين من البيرة وبعض الأقداح، وفيما نحن نشرب، رأينا "**كارولين**" وهي تمضي بزجاجة بيرة مثلجة قائلة إنها ستحملها إلى زوجها فعرض عليها "**ميرديث**" أن يمضي بها إلى "**أمياس**" بدلا منها، ولكنها أصرت على أن تقوم هي بخدمته. وقد خطر لي، لحماقتي، أن إصرارها هذا يرجع إلى شدة غيرتها وإلى رغبتها في أن تفاجئ زوجها بين الحين والآخر وهو منفرد بـ"**إلزا**" في حديقة البحر؛ ولهذا فاجأته قبل الآن متظاهرة بالرغبة في مناقشة موضوع إلحاق "**أنجيلا**"

بالمدرسة.. وسارت منحدرة في الممر المتعرج، وراقبها "**ميرديث**"برهة، أما "**أنجيلا**" فقد كانت تلح أن أصحبها للسباحة في البحر، ومن ثم ذهبت معها بعد أن قلت لـ"**ميرديث**" عن موضوع اختفاء سم "**الكونين**" إننا سوف نواصل الحديث في الموضوع بعد الغداء. وقضيت فترة طيبة في السباحة مع "**أنجيلا**"، وقررت في أعماق نفسي أن أتحدث بعد الغداء، إلى "**كارولين**" في موضوع السم المختفي، ذلك أني كنت انتهيت حينذاك إلى أنها هي التي سرقت كمية السم، وأنه ليس هناك ما يدعو "**إلزا**" إلى ارتكاب أية جريمة مادامت واثقة بأنها هي المنتصرة في المعركة، وأن "**أمياس**" على استعداد للانفصال عن زوجته والزواج بها.. وسمعنا رنين جرس الغداء، فانطلقت مع "**أنجيلا**" مسرعين إلى القصر، وهناك وجدنا الجميع - فيما عدا "**أمياس**" الذي قال إنه سيبقى ليفرغ من رسم اللوحة - جالسين إلى مائدة الطعام، وفرغنا من تناول الغداء، وجلسنا نشرب القهوة في الشرفة، وإني أحاول الآن أن أتذكر كيف كانت حالة "**كارولين**" في تلك الفترة، وأنه من العجب أن أتذكر أنها كانت في حالة هدوء تام وكأنها لم تقتل منذ لحظات رجلا.. زوجا وأبا.. وإني، لهذا السبب، لأزداد شعورا بالحقد عليها والكراهية لها.. فلو قتلت "**أمياس**" بمسدس في ساعة غضب لالتمست لها بعض العذر، أما أن تدبر مقتله بالسم، ثم تتناول الغداء بهدوء، بل وشهية، ثم تجلس معنا في الشرفة وتشرب القهوة دون أن ترتعد لها يد، أو يطرف لها جفن، أو يشحب وجهها، فهذا ما لا يقدر عليه إلا الشيطان في صورة امرأة. ونهضت أخيرا، وقالت بهدوئها القاتل إنها ستحمل القهوة إلى "**أمياس**"، ستحملها إليه وهي موقنة تماما أنه ميت..! وذهبت معها الآنسة "**ويليامز**" لتبحث عن صدار صوفيّ نسيته "**أنجيلا**" على الشاطئ، وبعد اختفائها في الممر، نهض "**ميرديث**"، وسار وراءهما، وفيما أنا أهم باللحاق به بعد أن اعتذر لـ"**إلزا**" إذ هو يعود مهرولا مضطربا يقول:

- يجب استدعاء طبيب حالا... إن "**أمياس**" في حالة خطيرة. فوثبت واقفا وهتفت:

– ماذا به.. مات؟ وعندئذ دوت صيحة مفزعة رهيبة أطلقتها "**إلزا**" ثم هي تولول قائلة:

– مات.. مات.. مات. وانطلقت تعدو بسرعة عجيبة، كالغزال الجريح، أو كرمز للغضب والانتقام. وقال لي "**ميرديث**" لاهثا:

– أسرع وراءها.. أسرع.. فلا يدري أحد ماذا يمكن أن تفعل هذه الفتاة.. وسوف أستدعي طبيبا بالتليفون حالا، وأسرعت وراءها وأعتقد أنني لو لم ألحق بها لقتلت "**كارولين**" بيديها.. فأنا لم أر في حياتي امرأة على مثل هذا الحزن والغضب والثورة والرغبة في الانتقام، كانت امرأة سوقية عنيفة حرمت حبيبها بالموت.. ولو أتيحت لها الفرصة لمزقت وجه "**كارولين**" بأظافرها، ولأنشبت أسنانها في عنقها، ولألقت بها من سور الحديقة إلى البحر.. واستطاعت الآنسة "**ويليامز**" بحزمها أن تهدئ من ثورتها، وهدأت "**إلزا**" أخيرا، ووقفت ترتعد وتلهث وتشهق. أما "**كارولين**" ، فقد وقفت ثابتة، هادئة ويمكن القول ذاهلة أيضا.. ولكني أعتقد أنها لم تكن ذاهلة حقًّا، وإن كانت عيناها تنمان عن هذا الذهول.. والخوف.. وذهبت إليها، إلى "**كارولين**"، وقلت لها بصوت خافت:

– أيتها القاتلة الملعونة.. كيف تقتلين أحب أصدقائي؟ فتراجعت في فزع وقالت:

– لا.. لا.. لا. إنه قتل نفسه. فنظرت في عينيها طويلا وقلت:

– قولي هذا لرجال البوليس.. إن أحدا لن يصدقك، وقد قالت هذا.. ولم يصدقها أحد..

- 8 -

وكتب "**ميرديث بليك**" يقول عن المأساة: إنني شخصيا مازلت أعتقد أن "**أمياس كريل**" مات منتحرا.. ولا تسألني لماذا أو كيف، فإني لن أؤمن في يوم من الأيام أن "**كارولين**" ارتكبت جريمة قتل، وكذلك ليس هناك أي دافع يبرر قتل

"**أميـاس**" على يد واحـد من الأشخـاص الخمسة الذين كـانوا موجـودين في أثناء وقوع المأساة وأيا كـان الأمر، فإني سأسـرد الحقـائق كمـا أذكـرها. أذكـر أولا هذه المحادثة التي دارت بيني وبين "**كـارولين**" قبل المأساة. ببضـعة أسابيع، أي عنـدما قامت "**إلزا جرير**" بزيارة "**أمياس**" في قصره أول مرة. وكـانت "**كارولين**" تعرف عن يقين مـدى حبي لهـا، واستعدادي للتضحيـة من أجلهـا ، وانتهاز كل فرصة لخدمتهـا والتسرية عنهـا وتخفيف أحزانهـا. وقد دهشت حين سـألتني فجأة هل أعتقد أن "**أمياس**" يحب تلك الفتاة حقًّا؟

فقلت:

– أعتقد أنه مهتم فقط برسم لوحة فنية لها.

– لا.. لا.. بل إنه يهيم بها غراما.

– إنهـا جـمـيلة وجـذابة.. هذا صـحـيح.. ولكنني أعـرف يا "**كـارولين**" أن "**أميـاس**"، على الرغم من علاقاته المتعددة بالنساء، لا يحب أحدا غيرك.. أنت فقط يا "**كارولين**" التي تملئين قلبه وحياته.

– هذا ما كنت أعتقده دائما.

– وحتى الآن. فهزت رأسها وقالت:

– ولكنني خـائفـة يا "**مـيـرديث**" هذه المرة.. نـعم خـائفـة.. إن الفـتـاة تحب "**أمياس**" حبا حقيقيا.. هذا ما أشعر به وإنها لشابة، ومتفانية في الحب.. ويبدو أنه الحب الأول الحقيقي في حياتها. ولهذا أشعر بأن الأمر، هذه المرة، جد خطير. ثم أردفت قائلة:

– إنني في الرابعة والثلاثين من عمري يا "**ميـرديث**"، وقد تزوجت بـ"**أميـاس**" منذ عشرة أعوام.. ولكني لا أكاد أذكر – من ناحية الجمال والجاذبية – مع هذه الفتاة التي تتمتع بكل شيء.. بالشباب والجمال والمال والعاطفة الثائرة. ولم تلبث "**إلزا**" بعد تلك الزيارة الأولى أن عـادت إلى العاصـمـة، ولحق "**أميـاس**" بها حيث قـضى مـعـهـا في العـاصـمـة بضـعـة أسـابيع ثـم نـسيت أنا تقـريبـا كـل شيء عن

الموضوع.. إلى أن سمعت أن "**إلزا**" عادت مرة أخرى للإقامة مع "**أمياس**" في قصر "**ألدربري**"، وذلك لكي يفرغ من رسم اللوحة التي بدأها في أثناء زيارتها الأولى. وأذكر أني حدثتك بما دار بيني وبين "**أمياس**"، ثم "**إلزا**" من حديث في هذا الموضوع، ولكنني لم أستطع أن أتبادل الحديث على انفراد مع "**كارولين**" إلا فترة وجيزة، وذلك حين قالت لي إن كل شيء بالنسبة إليها قد انتهى.. وإنها هي قد انتهت أيضا.. ولهذا أعتقد تماما أنها اختلست كمية من سم "**الكونين**" بعد محاضرتي الحمقاء عنه لا لتقتل به أحدا، وإنما لتنتحر به، ولكن يبدو لي أن "**أمياس**" اكتشف هذه الحقيقة، اكتشف أن زوجته استولت على كمية من مخدر سام لتنتحر. فاستيقظ ضميره. وقرر أن ينتحر هو بدلا منها.. لماذا؟ لأنه رأى نفسه بين أمرين كلاهما مر.. فهو لا يستطيع الحياة بدون "**إلزا**" بعد أن تمكن حبها من قلبه، ثم هو لن يستطيع أن يهجر زوجته حتى لا يدفعها إلى الانتحار بعد أن رأى بنفسه عزمها عليه، فماذا يفعل؟ لم يكن أمامه إلا أن يريح نفسه بالموت.. ولكنه لم ينتحر إلا بعد أن فرغ أو كاد من رسم اللوحة التي كان يهتم بها في ساعاته الأخيرة أشد الاهتمام. وأنا أعترف بالتأكيد أن في هذه النظرية ثغرات كثيرة.. فمثلا، لماذا لم نجد على زجاجة "**الكونين**" في غرفة نوم "**كارولين**" غير بصمات أصابع "**كارولين**"؟ هل يمكن أن تكون بصمات "**أمياس**" قد أزيلت بسبب وضع الزجاجة بين الملابس القديمة، ثم ارتسمت بصمات أصابع "**كارولين**" عليها حين أسرعت بعد وفاة "**أمياس**" لترى ماذا حل بالزجاجة؟ ربما. ولعل موقف "**كارولين**" في أثناء المحاكمة يؤيد نظريتي هذه بعض التأييد. فقد أدركت أنها هي التي دفعت بزوجها إلى الانتحار، وأنها هي التي أعدت له المادة السامة التي انتحر بها، ومن ثم قررت أن تدفع الثمن، وأن تلحق به. أما عن مشاعري وتصرفاتي الخاصة، فأقول إني نمت مضطربا بعد انصراف الجميع عقب تناولهم الشاي في بيتي، نمت مضطربا بعد أن حاولت أن أفكر في وسيلة أو في أخرى أنقذ بها الموقف بين "**كريل**" وزوجته. واستيقظت في الصباح الباكر في نحو السادسة، وشربت

الشاي، ولكني وجدت رأسي ثقيلا بسبب اضطراب نومي. فنمت مرة أخرى حتى الساعة التاسعة والنصف صباحا، وعندئذ شعرت كأن شخصا يتحرك في الغرفة التي تقع أسفل غرفتي مباشرة.. وهي غرفة المعمل.. وأستطيع القول هنا إن هذه الحركة قد تكون ناتجة عن دخول قطة إلى المعمل، لأني حين ارتديت ملابسي وهبطت إلى غرفة المعمل وفتحت بابها بمفتاحي الخاص، وجدت أني أهملت في اليوم السابق إغلاق النافذة كما ينبغي.. ومصراع النافذة كما تعلم من النوع الذي يرتفع وينخفض عند الفتح والغلق.. وقد وجدت ثمة فتحة في النافذة تكفي لدخول قطة. وفيما أنا أطوف بنظراتي في جوانب المعمل، لاحظت أن زجاجة "**الكونين**" بارزة قليلا عن صف الزجاجات فوق الرف، فلما رفعت يدي لأعيدها إلى مكانها، رأيت ما أفزعني، أن الكمية التي بها أقل من النصف، على الرغم من أنها كانت في اليوم السابق ممتلئة تماما، وشعرت أولا بالاضطراب، ثم بالخوف، ثم بالفزع.. ورحت أستجوب الخدم في عناية، ولكني أيقنت أن أحدا منهم لم يدخل غرفة المعمل.. وأخيرا اتصلت تليفونيا بأخي "**فيليب**" أسأله النصيحة، فطلب مني أن أسرع إليه لأتبادل معه الحديث في هذا الأمر الخطير.. وفيما أنا في طريقي إلى الخليج لأستقل الزورق، رأيت الآنسة "**ويليامز**" تبحث عن تلميذتها "**أنجيلا**" الهاربة منها.. والتقيت بـ"**فيليب**" في الجانب الآخر من الخليج، وسرت معه صاعدين في الممر المتعرج إلى القصر، وفيما نحن نسير بجانب سياج حديقة البحر، سمعت "**أمياس**" و"**كارولين**" يتبادلان الحديث بصوت مرتفع، وكأنهما يتشاجران، وقد فهمت من العبارات الأخيرة أن "**كارولين**" تتهمه بالقسوة على الفتاة، وأنه يؤكد لها أن كل شيء قد انتهى، وأنها لابد أن ترحل، وفجأة فتح باب الحديقة وأقبلت "**كارولين**" مضطربة، ولكنها ابتسمت حين رأتنا وقالت إنها كانت تتناقش مع "**أمياس**" بخصوص "**أنجيلا**" وإلحاقها بالمدرسة، وفي تلك اللحظة أقبلت "**إلزا**" من ناحية القصر ممسكة بمعطف من الصوف الأحمر، فهتف بها "**أمياس**" لكي تسرع وتجلس في مكانها حتى يفرغ من رسم الوجه، وواصلنا نحن السير في

طريقنا إلى القصر. وجلست مع "**فيليب**" في الشرفة الكبيرة نتبادل الحديث في موضوع السم المختفي، ثم أقبلت "**أنجيلا**" تحمل إلينا زجاجتين من الشراب وبعض الأقداح. ورأينا "**كارولين**" وهي تحمل زجاجة شراب مثلجة إلى زوجها ثم ذهب "**فيليب**" مع "**أنجيلا**" للسباحة، ولما بقيت بمفردي، نهضت وسرت إلى الهضبة الصغيرة التي تشرف على حديقة البحر، وجلست على مقعد خشبي مستطيل أتسلى بالنظر- من بعيد - إلى "**أمياس**" وهو يرسم الخطوط الأخيرة لـ"**إلزا**" التي كانت جالسة على سور الحديقة في الوضع المناسب.. وكانت تضع على كتفيها المعطف الصوفي الأحمر لتحتمي به من هواء البحر البارد، وكان وجهها ينبض بالحياة والصحة والشباب، وصوتها ينساب رنانا بالبهجة، وهي تتبادل الحديث مع "**أمياس**" عن المستقبل الباسم الذي ينتظرهما معا. وأرجو ألا يخطر ببال أحد أني كنت أسترق السمع. لا.. فقد كانت "**إلزا**" تراني من مكانها، وقد لوحت لي بذراعها قائلة إن "**أمياس**" شديد القسوة عليها في هذا الصباح، وأنه يرفض أن يتيح لها فترة للراحة من البقاء على هذا الوضع ساعات متواصلة.. وغمغم "**أمياس**" قائلا إنه أيضا يشعر بتيبس في عضلاته، وإنه يخشى أن يكون قد أصيب بروماتيزم عضلي، فداعبته "**إلزا**" :

- يالك من رجل عجوز مريض. فرد عليها بقوله:

- إنك ستتزوجين من رجل مقيد بالروماتيزم. ورن جرس الغداء، فهبطت من الهضبة والتقيت بـ"**إلزا**" عند باب الحديقة، وكان "**أمياس**" متهالكا على المقعد المستطيل بجانب لوحة الرسم، فظننته، كالمعتاد، يستريح أو يستلهم الوحي.. إذ إني كثيرا ما رأيته على مثل هذه الحال.. وقد قالت لي "**إلزا**" حين نظرت إليها مستفسرا:

- إنه لن يذهب معنا لتناول الغداء. فقلت لنفسي: «خيرا فعل». وكان هو ينظر إليَّ نظرات غريبة عجيبة كأنما يريد أن يقول شيئا ،ولا يستطيع، ولم أكن أدري أن المسكين في تلك اللحظة كان يحتضر، وأن الشلل كان يسري في كل عضلات

جسمه حتى لسانه.. وهكذا تركته مع "**إلزا**" ونحن نظن أنه بخير، وأنه لن يلبث أن ينهض ويستأنف العمل في اللوحة. وكانت "**إلزا**" المسكينة تثرثر معي وتضحك وهي لا تدري أنها لن ترى حبيبها مرة أخرى إلا جثة هامدة. وكانت "**كارولين**" طبيعية هادئة في أثناء تناول الغداء وبعده.. وهذا ما يجعلني شديد الثقة ببراءتها.. فلا أظن أنه توجد في الدنيا امرأة تستطيع أن تبدو بمثل هذا الهدوء والثبات وهي تعلم أن زوجها يحتضر بالسم الذي دسته له.. لا. هذا في رأيي مستحيل.. ولما اكتشفت بنفسها الوفاة، بدت لي كأنها ذاهلة من فرط الصدمة.. أما "**إلزا**" ، فكانت كالوحش الثائر الذي اختطفت منه طعامه وهو أشد ما يكون جوعا.. وقد كادت تفتك بـ"**كارولين**" بعد أن اتهمتها بقتل "**أمياس**" لولا أن تدخل "**فيليب**" في الأمر، كما قال لي، وتعاون مع الآنسة "**ويليامز**" على تهدئة ثائرتها. أما أنا فمازلت أعتقد أن "**أمياس**" مات منتحرا ولا تسألني لماذا... فإن كثيرا من الناس يرتكبون أشياء لم تكن متوقعة منهم.

- 9 -

وهذه هي رواية السيدة "**ديتشام**" : سوف أذكر هنا القصة كاملة من بدايتها، منذ أن التقيت بـ"**أمياس كريل**" لأول مرة، إلى نهايتها المفجعة. رأيته أول مرة في أحد المعارض، كان واقفا بجانب النافذة. ورأيته وأنا أدخل من الباب. وسألت أحدهم:

– من يكون هذا؟ فقال:

– إنه الرسام "**أمياس كريل**" . فقلت فوراً:

– إني أريد أن أتعرف إليه. وتعرفت إليه. وتحدثت معه نحو عشر دقائق. ولست أدري على وجه التحديد كيف كانت مشاعري في تلك اللحظات ولكن يكفي أن أقول إن كل شيء بدا في عيني صغيرا ضئيلا بجانب "**أمياس**" لقد ملأ أفق حياتي،

فلم أعد أرى أحدا غيره.. وبعد هذه المقابلة مباشرة، ذهبت لمشاهدة جميع لوحاته المعروضة في "**بوند ستريت**"، وفي متاحف "**لندن**" ومدينة "**ليدز**".. وتقابلت معه مرة أخرى، وقلت له:

– لقد شاهدت جميع لوحاتك.. وأعتقد أنها رائعة وأريد أن ترسمني بريشتك.

– يبدو لي أنك طفلة عجيبة.

– إنني طفلة موفورة الثراء كما تعلم. وأستطيع أن أدفع لك ما تريد من أجر.

– لماذا تتلهفين إلى هذا الحد لكي أرسمك؟

– لأني أريد هذا.

– أهذا سبب معقول؟

– لقد تعودت دائما أن أظفر بما أريد.

– أوه.. يا لك من طفلة حمقاء.

– هل سترسمني إذن؟ فأمسك بكتفي في شيء من العنف، وراح يمعن النظر إلى وجهي وشعري وصدري، ثم قال:

– نعم، سأجعل منك لوحة فنية، مهرجانا للألوان.. نعم.. سأرسم أروع وأجمل وأبهى الألوان الضاحكة النابضة، التي تصور الجمال، والشباب وأفراح الحياة.

–اتفقنا.

– ولكني أحذرك يا "**إلزا**". إنني عادة أقع في حب التي أرسمها.

– أتمنى أن تفعل. فلهثت أنفاسه، ونظر إليَّ مدهوشا وقد بدا الحب فعلا يطل من عينيه في تلك اللحظة. هكذا، ببساطة، جمع الحب بيننا، بأقوى رباط. والتقينا مرة أخرى بعد يوم أو اثنين، وطلب إليَّ أن أذهب معه إلى قصره في "**ألدربري**" لأنه يريد أن يرسمني في وضع خاص وفي إطار معين تجتمع معه كل ما في الطبيعة من ألوان وبهاء. ثم قال:

– إنني رجل متزوج كما تعرفين، وأحب زوجتي أشد الحب.

– إذن لا شك في أنها جميلة ولطيفة طالما تحبها هكذا.

– جداً.. والواقع أنني أقدس التراب الذي تسير عليه، ويجب أن تفهمي هذا تماما.

– حسنا.. فهمت. وبدأ اللوحة بعد أسبوع، وقد استقبلتني **"كارولين"** في أول الأمر بحماس وترحاب ومودة، ولكن في شيء من التحفظ الخفي، وأعتقد أنه لم يكن هناك ما يدعو إلى خوفها مني، فإن **"أمياس"** لم يحاول أن يقول عني شيئا لا يستطيع أن يقوله أمام زوجته، وكنت أنا أعاملها بأدب ورقة وتهذيب.. ولكننا في أعماق نفسينا، كنا نشعر بالقدر المتربص لنا. وكان عليٍّ، بعد عشرة أيام قضيتها في تلك الزيارة الأولى، أن أعود إلى **"لندن"**، فقلت له:

– إنك لم تفرغ من رسم اللوحة بعد؟

– إنني في الواقع لم أبدأها بعد.

– لماذا؟

– أنت تعرفين السبب يا **"إلزا"**؛ ولهذا يجب أن ترحلي حتى تهدأ مشاعري، فإني لا أستطيع أن أفكر في الرسم، بل لا أستطيع أن أفكر في شيء آخر. غيرك.

– حسنا. سأبتعد عنك إذا كان هذا يرضيك.

– إنك فتاة رائعة. وعدت إلى **"لندن"**، ولم أكتب إليه. وصبر هو عشرة أيام، ولشد ما دهشت وصدمت حين رأيت حالته اليائسة، ونحول جسمه في أثناء هذه الأيام العشرة من الفراق، وقد قال لي حين رآني:

– لقد حذرتك يا **"إلزا"** .. فلا تلوميني.

– إني لا ألومك. ولكنني سأفتح ذراعي لك. فقد كنت في انتظارك. وكنت أعرف أنك آت إليَّ. وقضينا معا بضعة أسابيع.. وأعتقد أنني عاجزة تماما عن وصف السعادة التي كانت تملأ قلبينا في تلك الأسابيع، إنها لم تكن سعادة، وإنما كانت شيئا أعمق وأضخم. ولكن **"أمياس"** كان يشعر بالقلق من أجل الصورة.

وفي نهاية تلك الأسابيع قال:

- إنني أشعر تماما بأني سأرسم صورة لم يشهد لها عالم الفن مثيلا.. إنني الآن أكاد أموت شوقا إلى استئناف الرسم.. هناك.. ستجلسين على سور الحديقة.. وحولك زرقة السماء، وخضرة الأشجار، وكأنك رمز للنصر. ثم أردف يقول:

- المهم الآن أن أفرغ من الصورة في جو هادئ، وبعد ذلك سأخبر "**كارولين**" بكل شيء، ثم نتفق على حل للمشكلة.

- أتعتقد أن "**كارولين**" ستمانع في الطلاق منك؟

- لا أظن. ولكن من يدري؟

- إذا كانت تحبك حقًا، فيجب أن تعمل على إسعادك ولو على حساب آلامها.

- هذه كلمات تقال في الكتب والروايات، ولكن الحقيقة غير ذلك.. إن للطبيعة الإنسانية مخالب وأنيابًا.. فلا تغفلي عن هذا..

- ولكننا نعيش في عصر متحضر، والناس المتحضرون لا يستخدمون مخالبهم وأنيابهم لتحقيق أغراضهم. فضحك وقال:

- ولكنها ستتعذب.. فهل تعلمين يا "**إلزا**" معنى عذاب الزوجة المهجورة؟

فقلت:

- إذن.. فلا تخبرها.. لا تصارحها بما بيننا.. ولا داعي لأن تستمر علاقتنا إلى أبعد من هذا.

- لا لا.. هذا مستحيل أيضًا.. إنك لي يا "**إلزا**".. لي أمام الدنيا.. لن يفرق بيننا أحد. وعدنا مرة أخرى إلى "**ألدربري**".. ولكن الجو في هذه المرة كان مكهربا.. مشحونا بالشكوك والارتياب والعداء الخفي، والغيرة العمياء.. ولم أرض عن هذا الجو بطبيعة الحال. فقد عشت عمري أكره النفاق، والمراوغة، والتخفي. وقد ألححت على "**أمياس**" كثيرا لكي نصارحها ولكنه كان يصر على الرفض. ولكن الطريف في الموضوع كله أنه لم يكن هو مهتما بهذا الأمر.. وإنما كان اهتمامه مركزا على اللوحة التي يعمل فيها.. فعلى الرغم من أنه كان ميالا إلى

"**كارولين**" وكارها لإيلامها، فقد تركها تعاني عذاب الشكوك وراح يعمل في اللوحة كالمجنون. وأنا لم أر من قبل فنانا وهو يعمل، ولكنني حين رأيته في أثناء العمل، أدركت فورا أنه فنان أصيل. فنان ملهم. وهكذا كان مستغرقا في فنه، محلقا به بعيدا عن مشاكل الحياة الدائرة حوله، المطبقة عليه. ولكن الموقف بالنسبة إلي كان يختلف. كان موقفي حرجا أشد ما يكون الحرج. كانت "**كارولين**" تكرهني ، وتخزني بعبارات ملتوية، تبدو بريئة في ظاهرها، قاطعة كالسكين في حقيقتها. ولها العذر. وهكذا رأيت أن خير وسيلة لتخفيف حرج موقفي، هي أن أواجه الأمر في صراحة، فقد حدث أن تحدثت "**كارولين**" عن رحلة ستقوم بها مع "**أمياس**" في الصيف التالي إلى "**النرويج**" .. وكانت تتحدث بلهجة الواثقة بنفسها وبزوجها. وغضبت، غضبت لجو الخداع والنفاق الذي نعيش فيه. ومن ثم صارحتها بالحقيقة. ولم يستطع "**أمياس**" إلا أن يؤيدني وينصرني عليها. ثم ذهبنا جميعا لشرب الشاي في منزل "**ميرديث**"، وهناك رأيتها بعيني وهي تختلس سم "**الكونين**" من المعمل. وقد خطر لي حينئذ أنها ستنتحر به. وفي صباح اليوم التالي، سمعتها تتشاجر مع "**أمياس**" في غرفة المكتبة وكنت جالسة في الشرفة تحت نافذة الغرفة مباشرة. وقد بدأ هو حديثه راجيا أن تكون عاقلة، وأن ترضى بالأمر الواقع، وأن تتأكد بأنه سيرعى مستقبلها ومستقبل طفلتهما. ولكنها أبت إلا أن تثور عليه، فهتف بها غاضبا:

– ليس هناك مفر من زواجي بـ"**إلزا**"، سواء رضيت أم أبيت. لن يمنعني من الزواج بها شيء فما نحن بأول زوجين يفترقان بالطلاق. فقالت له "**كارولين**" عندئذ:

– افعل ما تريد. فقد حذرتك.

– ماذا تعنين يا "**كارولين**"؟

– أعني أنك لي. لي وحدي، وإني أفضل أن أراك ميتا على أن أسمح لامرأة أخرى أن تظفر بك. وإذا تماديت هكذا مع نسائك فسوف أقتلك يوما. وبعد برهة،

رأيت "**فيليب**" يقبل إلى الشرفة، فنهضت إليه حتى لا يسمع ما يجري في غرفة المكتبة. وبعد ذلك أقبل "**أمياس**" مضطرم الوجه، وطلب مني أن أذهب معه لكي يفرغ من رسم اللوحة، فذهبنا إلى حديقة البحر. ولم يقل شيئًا أكثر من أن "**كارولين**" ثائرة عليه، ولكنه لا يريد أن يتحدث عن هذا الموضوع حتى يفرغ من اللوحة. وأذكر أنه قال لي بالحرف الواحد:

– إن اللوحة هي أهم شيء في حياتي الآن.. وسوف تكون أروع عمل فني قمت به، ولن أتراجع عن إتمامها حتى لو دفعت فيها كل هذا الثمن من الدموع. وبعد نحو ساعة، غادرت حديقة البحر لآتي بمعطفي الصوفي الأحمر لأضعه على كتفي؛ إذ كان هواء البحر يهب على جسمي باردا. ولما عدت إلى الحديقة، وجدت "**كارولين**" هناك. وكذلك كان معها "**فيليب**" و"**ميرديث بليك**". وعندئذ قال "**أمياس**" إنه في حاجة إلى بيرة مثلجة، لأن الشراب الموضوع في الحديقة ساخن ورديء المذاق، فوعدته "**كارولين**" بإرسال زجاجة بيرة مثلجة من القصر، وكانت تتحدث بهدوء، يدل على قوة أعصابها، وبراعتها في التمثيل. ولا شك في هذا، فقد قررت في تلك اللحظة أن تأتي بالبيرة المثلجة السامة! أحضرت الزجاجة بعد عشر دقائق، وكان "**أمياس**" مشغولا بالرسم. وملأت له الكأس ووضعتها بجانبه. ولم يكن أحدنا يراقبها وهي تفعل هذا. فقد كان "**أمياس**" منهمكا في عمله، وكنت أنا حريصة على البقاء في الوضع المطلوب مني. وشرب "**أمياس**" الكأس، وبدا على وجهه الامتعاض الشديد وقال:

– إن للبيرة مذاقا مرا، ولكن هذه الكأس على كل حال باردة منعشة. والعجيب أنني حتى هذه اللحظة، لم أشك في الأمر، فقلت ضاحكة إنه يعاني ولا ريب مرضًا في الكبد. وبعد أربعين دقيقة تقريبا، سمعت "**أمياس**" يشكو من تصلب في عضلاته، وقال إنه يخشى أن يكون مصابا بروماتيزم عضلي، وكان دائما يعرب عن خوفه من المرض، فداعبته قائلة إنه رجل عجوز وداعبني قائلا إنني سأتزوج من رجل عجوز وقعيد بالروماتيزم وأخيرا دق جرس الغداء، فتهالك جالسا على المقعد

الخشبي المستطيل وقال إنه لن يتناول الغداء حتى يفرغ من رسم اللوحة. وأقبل "**ميرديث**" إلى باب الحديقة فذهبت معه إلى القصر لأتناول الغداء تاركة "**أمياس**" يموت وأنا لا أدري. إنني لم أر في حياتي رجلا يحتضر، وقد ظننته راقدا، كعادته، يستريح .. وآه لو كنت أعلم الحقيقة. إذن لاستدعيت طبيبا في الحال، ولكان من الممكن إنقاذه. ولكن ما فائدة الندم؟ وبعد طعام الغداء وتناول القهوة في الشرفة، ذهبت "**كارولين**" مع الآنسة "**ويليامز**"، ذهبت لتكتشف جثة زوجها الذي قتلته بيديها ! وعندما علمت بالكارثة أدركت فورا أنها هي القاتلة. وقد ظننت لأول وهلة أنها لم تقتله بالسم وإنما ذهبت وطعنته بسكين أو برصاصة مسدس. وكنت أريد أن أنشب أظافري في عنقها. كيف طاوعتها نفسها على قتله. كيف رضيت أن تنتزع الحياة من رجل كان ينبض بالحياة ويحب الحياة؟! كل هذا لكيلا أظفر به دونها. امرأة رهيبة.. امرأة لعينة حقيرة متوحشة .. إنني أكرهها.. أمقتها.. أحقد عليها.. إنهم لم يشنقوها. وكان يجب أن يفعلوا. بل إن الشنق كان أقل ما يجب لعقابها.. ما أشد ما أمقتها حتى الآن !

- 10 -

وهذه قصة المربية العجوز: اسمي "**سيسيليا ويليامز**". التحقت بالعمل لدى السيدة "**كريل**" لأقوم بتربية الآنسة "**أنجيلا وارين**" والتدريس لها، وكنت يومذاك في الخامسة والأربعين من عمري. وبدأت العمل في قصر "**ألدربري**"، وكان قصرا جميلا تحيط به مزرعة لطيفة، وكانت المزرعة من أملاك أسرة "**كريل**" منذ أجيال عديدة.. ويتألف سكان القصر من السيد والسيدة "**كريل**" وابنتهما "**كارلا**" التي كانت عند جدتها في أثناء وقوع المأساة، و"**أنجيلا وارين**"، وكانت يوم التحاقي بالعمل صبية في الثالثة عشرة من عمرها، وثلاث خادمات علمت أنهن نشأن منذ

طفولتهن في خدمة "**كريل**" . وقد وجدت تلميذتي فتاة ذكية، قادرة على فهم ما يلقى إليها من دروس، لطيفة خفيفة الظل، ولكنها عنيدة مدللة بسبب إسراف السيدة "**كريل**" في حبها والعناية بها. أما السيد "**كريل**" ، فقد أدركت، منذ اللحظة الأولى، أنه رجل متقلب، ولست أدري كيف استطاعت زوجته أن تحتمل الحياة معه، على الرغم من خياناته المتكررة لها كل هذه السنوات، ورأيت الآنسة "**إلزا جرير**" عند زيارتها الأولى في أول الصيف. وكان واضحا لكل ذي عينين أن ثمة علاقة حب بينها وبين "**كريل**" ، وأن مسألة رسم اللوحة ليست إلا ستارا لإقامة الفتاة مع "**كريل**" في قصر "**ألدربري**" . وليس أدل على ذلك من أن "**كريل**" لم يرسم شيئًا في اللوحة في أثناء زيارتها الأولى، ولا شك في أنه كان هناك ما يشغلهما في حديقة القصر عن مهمة الرسم. وكانت "**إلزا جرير**" فتاة تافهة التفكير، سوقية الطباع، لا يهمها في الحياة إلا مظهرها أمام الناس وإعجاب الرجال بها. وأعتقد أن السيدة "**كريل**" كانت تبذل كل جهدها لتخفي آلامها النفسية عن "**أنجيلا**" حتى لا تفسد سعادة الفتاة الصغيرة بأي ظل من الألم والتعس. وعادت "**إلزا جرير**" إلى "**لندن**" .. وشعرنا حينئذ كأن كابوسا ثقيلا قد أزيح عن أكتافنا، فقد كنا جميعا، حتى الخدم نشعر بكرهنا إياها. إذ كانت من الأشخاص الذين يطالبون بالكثير دون أن يكلفوا أنفسهم إلقاء كلمة شكر. وسافر السيد "**كريل**" بعدها ببضعة أيام. وقد شعرت بالألم من أجل السيدة "**كريل**" .. فقد كانت المسكينة تتعذب من تصرفات زوجها، ولكننا أنا وهي، رجونا أن يعود "**أمياس**" من "**لندن**" وقد نفض يديه من هذا الحب الجديد. ولكنه للأسف، عاد ومعه "**إلزا**" . وبدأ يرسم اللوحة في حماس جنوني، ولكني مع هذا أدركت أن علاقته بهذه الفتاة لن تكون كنزواته السابقة مع النساء وبلغت الأزمة ذروتها عندما تمادت هذه الفتاة، "**إلزا**" ، في وقاحتها وجرأتها، وصارحت "**كارولين**" بعزمها على الزواج من "**كريل**" ، وعلى الرغم من أن "**كريل**" كان غاضبا من صراحتها هذه، فإنه لم يستطع أن ينكر أو يتراجع، وأعلن لزوجته أن ما قالته "**إلزا**"

هو الحقيقة، وبعد هذا المشهد العاصف. حاولت أن أواسي "**كارولين**" فقالت لي:

– على كل حال يجب أن نتصرف في حياتنا كالمعتاد، وكأن شيئًا لم يحدث، وسنذهب لتناول الشاي في بيت "**ميرديث بليك**" حسب الموعد المتفق عليه.

– أعتقد يا سيدة "**كريل**" أنك سيدة رائعة مدهشة. وذهب جميعهم إلى منزل السيد "**ميرديث بليك**"، ثم عادوا في نحو السادسة مساء. ولم أستطع الانفراد بالسيدة "**كريل**" في تلك الليلة. ولكني أذكر أنها كانت هادئة أكثر مما كنت أتوقع، وقد أوت إلى فراشها في ساعة مبكرة، لقد كانت تتعذب في صمت. وفي صباح اليوم التالي، وكان يوما جميلا مشرقا، وجدت بعد طعام الفطور جونلة "**أنجيلا**" ملقاة في غرفتها ممزقة فحملتها ورحت أبحث عنها لأجعلها ترتقها، حتى تتعود النظام والترتيب ورتق ملابسها بنفسها، وقد بلغت في بحثي عنها مزرعة السيد "**ميرديث بليك**"، لأني كنت أعلم أن "**أنجيلا**" تعودت أن تعبر الخليج بأحد الزوارق بمفردها وتذهب إلى هناك لتأكل بعض ثمار التفاح الناضجة. ولما عدت دون أن أعثر عليها، رأيت السيدة "**كريل**" مع السيد "**فيليب**" والسيد "**ميرديث**" في شرفة القصر، وكانت السيدة "**كريل**" تقترح أن ترسل إلى الأخوين بعض الشراب المثلج، وقد ذهبت مع السيدة "**كريل**" إلى الثلاجة الموضوعة في غرفة صغيرة بالطابق الأول، وهناك رأينا "**أنجيلا**" تتناول من الثلاجة زجاجة شراب وكان يبدو على وجهها أنها ارتكبت شيئًا. وقد قالت لها السيدة "**كريل**":

– أريد زجاجة شراب مثلجة لأمضي بها إلى "**أمياس**". وأمسكت أنا بـ"**أنجيلا**" وعنفتها على هربها مني طوال فترة الصباح، وطلبت إليها أن ترتق الجونلة، والعجيب أنها استسلمت لتعنيفي في خضوع واستكانة. ولم تكن هذه طبيعتها. ولكنها كانت مدركة خطأها، وكان واضحا على وجهها هذا الإدراك. ولما سألتها أين كانت، قالت إنها كانت تسبح في الخليج، فقلت لها إنني لم أرها هناك، فضحكت وتناولت الجونلة ووعدت بإصلاحها فورا. وحل موعد الغداء. ولم يحضره "**كريل**". وبعد الطعام وشرب القهوة قررت أن أذهب لاستحضار صدار

"**أنجيلا**" الذي تركته على الشاطئ بعد سباحتها مع السيد "**بليك**" .. وذهبت في الممر مع السيدة "**كريل**" التي قالت إنها ذاهبة لترى ما إذا كان زوجها محتاجا إلى شيء. ولكني ما كدت أتجاوز باب حديقة البحر، حتى سمعت صيحتها وهي تناديني، فأسرعت إليها حيث رأيت "**أمياس**" جثة هامدة فوق المقعد بجانب حامل الرسم، وطلبت إلي السيدة "**كريل**" أن أستدعي طبيبا، فغادرت الحديقة إلى الممر مسرعة، وعندئذ التقيت بالسيد "**ميرديث بليك**" فكلفته بمهمة استدعاء الطبيب وعدت إلى السيدة "**كريل** وأنا أشعر بأنها أحوج ما تكون إلى من يقف بجانبها في تلك اللحظة. تلك هي قصتي. ولكن الشيء الذي أخفيه عن الجميع، حتى السيدة "**كريل**" نفسها، هو أنني رأيتها، عند عودتي إلي الحديقة بعد أن كلفت "**ميرديث بليك**" بمهمة استدعاء الطبيب، أقول رأيت السيدة "**كريل**" منهمكة في إزالة بصمات الأصابع بمنديلها عن زجاجة الشراب، ثم إذا هي تمسك بيد زوجها الميت وتضغط بأصابعه على الزجاجة. كل هذا وهي متحفزة، ترهف السمع، والخوف الشديد يبدو على وجهها. هذه هي الحقيقة التي أخفيتها عن الجميع، وهذا هو السبب الذي جعلني أؤمن تماما بأن "**كارولين**" قتلت زوجها، ومع ذلك فإنني ألتمس لها العذر، وأحمل لها في نفسي كل عطف وإشفاق، ويهمني أن تعرف "**كارلا**" هذه الحقيقة أيضا. وذلك لكي تستريح وتنسى المأساة تماما.

- 11 -

وكتبت الآنسة "**أنجيلا وارين**" تقول:

«عزيزي السيد "**بوارو**" ..

إنني أبر بوعدي لك، وأكتب إليك بكل ما يعلق بذاكرتي عن مأساة أختي "**كارولين**" وزوجها "**أمياس**"، والواقع أنني لم أكن أعرف ضآلة ما أذكر إلا بعد أن بدأت الكتابة. ولعلك تود أن تسألني عن شعوري نحو "**كارولين**" و"**أمياس**" في

ذلك الحين.. حسنا. كان شعورا طبيعيا. كنت أحب أختي "**كارولين**" كأعظم ما يكون الحب بين أختين. شقيقة أو غير شقيقة، وكنت أميل إلى "**أمياس**". وأحبه كأخ أكبر أو كوالد. وذلك على الرغم من المشادات العنيفة التي كانت تقع بيننا كلما تمادى في إغاظتي وإثارتي. ولكني في الوقت نفسه كنت أغار على أختي منه، وقد أدركت الآن أنه كان أيضا يغار على زوجته مني. وعلى الجملة لم أكن أفكر فيهما أو في علاقتي بهما، وإنما كنت أشعر بهما كما يشعر الإنسان بأهله وذويه. ولما أقبلت "**إلزا**" في أول زيارة لم أحفل بها أو أشغل نفسي بأمرها. فقد بدا لي من اللحظة الأولى أنها سوقية، جاهلة بل إني لم أفكر في أنها جميلة. وإنما كل ما شعرت به نحوها أنها فتاة ثرية مثيرة للملل والنفور. ولم أعرف في الواقع حقيقة العلاقة بينها وبين "**أمياس**" إلا في أثناء زيارتها الثانية الطويلة للقصر. وقد كنت في الشرفة بعد الغداء يوما حين سمعتها تتحدث إلى "**أمياس**" في غرفة المكتبة عن موضوع زواجها به. وقد بدا هذا التصريح عجيبا غريبا، ومن ثم انتهزت أول فرصة وسألت "**أمياس كريل**" في حديقة بيت "**ميرديث**" بعد الفراغ من تناول الشاي، قائلة:

– لماذا تقول "**إلزا**" إنها ستتزوج بك؟ إن هذا مستحيل فلا يمكن للرجل أن يتزوج باثنتين، إن هذا مخالف للقانون أليس كذلك؟ فغضب "**أمياس**" وقال بحدة:

– كيف سمعت هذا بحق السماء؟

– سمعتها وهي تحدثك في غرفة المكتبة. فازداد غضبا، وقال إن الأوان قد آن فعلا لإلحاقي بالمدرسة وإنه سيلحقني بها في أقرب فرصة حتى لا أسترق السمع. فقلت له بغضب إنني لم أكن أقصد أن أسترق السمع، وإنه يتهمني بهذا ظلمًا. وأخيرًا ابتسم، وقال إن ما سمعته لا يعدو أن يكون دعابة من جانب "**إلزا**". وقلت لـ"**إلزا**" ونحن في طريق العودة إلى المنزل بعد انتهاء زيارتنا للسيد "**ميرديث بليك**": «لقد سألت "**أمياس**" عن معنى قولك له

إنك ستتزوجين به فقال إن الأمر لا يعدو أن يكون دعابة». وكنت أريد أن أغيظها وأثيرها. ولكنها ابتسمت، ولم تعجبني ابتسامتها. وذهبت إلى "**كارولين**" في غرفتها حيث كانت تستعد للهبوط إلى قاعة الطعام لتناول العشاء، وسألتها: «هل يمكن أن يتزوج "**أمياس**" بـ"**إلزا**"؟» وإني لأذكر إجابتها الحاسمة الأكيدة وكأني أسمعها الآن:« "**أمياس**" لن يتزوج من "**إلزا**" ، أو من غيرها إلا بعد وفاتي». وهدأت إجابتها هذه من مخاوفي، وأعادت الاطمئنان إلى نفسي ولكن بقيت ساخطة على "**أمياس**" ، وهكذا انتهزت فرصة إثارته لموضوع المدرسة، فتشاجرت معه بعنف، ثم اندفعت باكية إلى غرفة نومي. ولست أذكر شيئًا كثيرًا مما حدث في صباح اليوم التالي. قبل المأساة أذكر فقط أني تجولت هنا وهناك، وسبحت في الخليج، ولكني أذكر تمامًا إسراع "**ميرديث**" إلى الشرفة في اهتياج قائلاً إن "**أمياس**" مات، وأذكر انفعال "**إلزا**" وسقوط قدح القهوة من يدها وهي تطلق صيحة رهيبة، ثم تعدو بسرعة عجيبة في الممر إلى حديقة البحر. وأذكر أن القصر بعد ذلك ازدحم بأشخاص غرباء كثيرين وأنهم رفضوا أن أذهب لأرى "**أمياس**" وهو ميت، ولكني أسرعت إلى "**كارولين**" في غرفتها حيث كانت راقدة على الأريكة ممتقعة، مريضة، فلما رأتني قبلتني وطلبت إلي أن أسرع بالابتعاد عن مسرح المأساة وأخيرا أرسلوني إلى حيث كانت تقيم "**كارلا**" الصغيرة مع جدتها السيدة "**تريسليان**" . واستقبلتني السيدة "**تريسليان**" في حب وعطف وإشفاق. وعلى الرغم من حرص الجميع على إخفاء الحقيقة عني فقد علمت أن رجال البوليس ألقوا القبض على أختي "**كارولين**" ، وأذكر أني مرضت من فرط الفزع والحزن. وسمعت فيما بعد أن أختي كانت بعد القبض عليها شديدة القلق بشأني، وأنها هي التي أصرت على رحيلي إلى خارج "**إنجلترا**" قبل المحاكمة. ومرة أخرى أقول إنني واثقة تمامًا بأن أختي لم ترتكب هذه الجريمة، أقول واثقة، ولكني لا أستطيع أن أقدم الدليل المادي على براءتها. فليرحمها الله.

- 12 -

رفعت "**كارلا لامرشان**"، ابنة "**كارولين**"، رأسها عن الأوراق التي تحكي مأساة والديها في تفصيل ووضوح، ثم قالت بصوت متعب:

– لقد ازددت حيرة فوق حيرتي، فإن كل واحد من هؤلاء ينظر إلى أمي من زاوية مختلفة، ولكن الحقائق واحدة. ،وكلهم متفقون عليها، نعم، إنهم جميعا يعتقدون أن أمي مدانة، فيما عدا "**أنجيلا**" ولها العذر، فهي أختها، أما "**ميرديث**" فهو يحاول أن يخفي إدانة أمي على غير جدوى، وكذلك لم تستطع "**أنجيلا**"، على الرغم من ذكائها وقوة تفكيرها، أن تقدم لنا سببا واحدا يبرر إيمانها ببراءة أمي.

– أهذا هو ما استقر عليه رأيك بعد قراءة هذه التقارير؟

– نعم.. وليس من شك في أن هؤلاء الأشخاص الخمسة قد أجمعوا بطريقة ما مباشرة أو غير مباشرة على إدانة أمي، لأنها إذا ما لم تكن هي التي ارتكبت الجريمة، فلابد أن يكون مرتكبها واحدا منهم.

فابتسم "**بوارو**" وقال:

– آه.. هذا رأي مثير، وهل يمكن أن توضحيه لي؟

– أستطيع فقط أن أقدم إليك احتمالات لا دليل عليها. فمثلا "**فيليب بليك**"، إنه سمسار مالي، وكان من أخلص أصدقاء أبي، ومن المحتمل أن يكون أبي قد أقرضه أو أودع لديه مبلغا ضخما، والمعروف أن الفنانين مستهترون دائما من الناحية المادية، ولعل "**فيليب**"، تحت ضغط ظروف طارئة كان قد ضيع المال الذي اؤتمن عليه، وخشي من الفضيحة التي لا نجاة منها إلا بموت أبي، هذه بعض الأفكار التي دارت برأسي عن هذا الاحتمال. وأومأ "**بوارو**" برأسه وقال:

– لا بأس، والاحتمال الثاني؟

– وهناك "**إلزا جرير**". إنها فتاة لا تتورع عن أي شيء، ولعلها تكون قد

اختلست السم لكي تقتل به أمي حين أيقنت أنها لن توافق على الطلاق من أبي بأية حال من الأحوال. وفتاة مثل "**إلزا**" لا تقبل أن تعيش على هامش حياة رجل متزوج إلى ما لا نهاية. إنها لا ترضى بأقل من الزواج من هذا الرجل الذي تحبه، ومن ثم فهي لا تكف عن الحديث عن الزواج والمستقبل. أقول إنها اختلست السم لتقتل به أمي، فكانت النتيجة أن مات أبي بسبب خطأ ارتكبته دون أن تدري.

وابتسم "**بوارو**" وقال:

ـ هذا احتمال لا بأس به أيضًا، والثالث؟

ـ "**ميرديث**".

ـ حتى "**ميرديث بليك**" أدخلته في نطاق احتمالاتك؟

ـ ولم لا ؟ هل يوجد إنسان في هذه الدنيا معصوم من ارتكاب جريمة قتل؟ إنه يبدو من النوع الذي لا يتردد كثيرا في ارتكاب جريمة قتل. فهو ضيق التفكير، محدود الخيال، بطيء، متردد، موضع ضحك وسخرية الغير، ولعله في أعماق نفسه، يشعر بالسخط على هذا كله. ثم تزوج أبي الفتاة التي كان "**ميرديث**" يتمنى الزواج بها. ونجح أبي في حياته وظفر بالمال والشهرة. وعمد "**ميرديث**" للتنفيس عن كبته النفسي إلى هذه الهواية الخطرة في استخراج العقاقير والسموم من النباتات والأعشاب. ولعله شغف بهذه الهواية لأنه كان يتمنى في قرارة نفسه أن يقتل شخصا ما ذات يوم. ولعله لفت أنظار الجميع إلى سرقة السم حتى يبعد عن نفسه كل شبهة. ولكن الواقع هو أنه أقرب الناس إلى أخذ السم من معمله بنفسه. بل لعله أراد أيضًا، أن يرسل بأمي إلى حبل المشنقة جزاء تفضيلها أبي عليه. ولعله كان يقصد التعبير عن نفسه في كتابته عن الأشخاص الذين يرتكبون أشياء لم تكن متوقعة، وذلك عندما حاول أن يعلل بأن أبي مات منتحرا.

ـ هل هناك احتمالات أخرى؟

ـ خطر ببالي أن الآنسة "**ويليامز**" قد تكون هي القاتلة حتى لا تفقد وظيفتها ولكن استبعدت هذا الاحتمال تماما. ولما كان بعض الناس يفقدون عقولهم

ويرتكبون جرائم قتل بسبب قليل من المال، فإن الآنسة "**ويليامز**"، كما يبدو من حديثك عنها، ومن مذكراتها، ليست بالسيدة التي تهتم بالمال إلى حد ارتكاب هذه الجرائم في سبيله. لا. لم يبق أمامي إلا أن أستسلم للأمر الواقع. فإن هذه الاحتمالات كلها تكاد تكون في حكم المستحيل.. نعم. لقد آمنت الآن أن أمي ليست بريئة كما أظن، وأنه لم يبق أمامي إلا أن أفسخ خطبتي.. نعم.. لا تتعجب يا سيد "**بوارو**". إني لا أستطيع أن أتزوج وهذا السيف الرهيب مصلت على رأسي. لا أستطيع أن أحتمل أن ينظر إليَّ الرجل الذي أحبه في شيء من الخوف والحذر إذا تشاجرنا يوما. خير لي، أنا الابنة الوحيدة للرسام "**كريل**" الذي قتلته زوجته.. أمي.. أن أهجر العالم وأقضي أيامي في الدير، أستغفر الله لهما، وأقطع بموتي، تسلسل ذريتهما على سطح هذه الأرض.

– إذن فقد اقتنعت أخيرا بالحقيقة؟

– نعم.. وإني مقدرة لك كل ما بذلت من جهد في هذا السبيل، ولن أضن عليك بأي قدر من المال مكافأة لك. فهز "**بوارو**" رأسه وقال:

– إن مكافأتي الحقيقية هي العمل على تبرئة سيدة مظلومة.

– ماذا تعني؟

– أعني أنك تريدين أن تخرجي من المعركة في اللحظة التي وضحت لي فيها الحقيقة كاملة.

– لست أفهم تماما ماذا تعني يا سيد "**بوارو**".

– أعني أنني – "**هركيول بوارو**" – قد عرفت من تحرياتي مع الأشخاص الخمسة الذين شهدوا المأساة، ومن كتاباتهم، أن والدتك كانت مظلومة. فهزت "**كارلا**" رأسها في يأس وقالت:

– أتقول هذا بعد أن ذكرت الآنسة "**ويليامز**" بوضوح أنها شاهدت أمي وهي تزيل بصمات أصابعها عن زجاجة الشراب وتطبع عليها بصمات أبي وهو ميت؟ وصمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة:

ـ لو أن الذي ذكـر هذه الحقيقة شاهد آخر، لاتهمته بالكذب ولكن الآنسة "**ويليامز**" كانت تحب أمي حتى آخر لحظة وقد وقفت في صفها، وأخفت هذا الدليل الحاسم عن القضاء، فهل يمكن أن تشك في أقوالها؟ قال "**بوارو**" :

ـ إنني آخر من يشك في أقوال الآنسة "**ويليامز**" . ثم نهض واستطرد قائلاً:

ـ اسمعي يا آنسة "**كارلا**" ، إن رؤية الآنسة "**ويليامز**" لأمك وهي تزيل بصمات أصابعها عن زجاجة البيرة، لتطبع بصمات أصابع أبيك، هي الدليل الحاسم ، الذي جعلني أؤمن بأن أمك لم ترتكب هذه الجريمة. ثم غادر الغرفة. وظلت "**كارلا**" واقفة تشيعه بنظراتها في ذهول ودهشة وعجب.

- 13 -

ذهب "**هركيول بوارو**" إلى "**فيليب بليك**" وقال له في هدوء ورقة:

ـ لقد جئت لأشكر لك ما بذلته من جهد في كتابة ذكرياتك عن مأساة صديقك "**أمياس كريل**" ، والواقع أنك أوضحت لي كثيرا من النواحي التي كانت غامضة. فقال "**فيليب**" وهو يشعر بالرضا عن نفسه:

ـ الحقيقة أني دهشت حين وجدت الذكريات تنهال بسرعة وقوة، فور أن بدأت الكتابة.

ـ نعم.. نعم.. ولكن هذا لا يمنع من القول إنك لم تذكر كل شيء.

ـ لم أذكر كل شيء؟

ـ إن روايتك لما حدث تمتاز بالصراحة والوضوح. ولكن. ثم أردف "**بوارو**" في صوت لا يخلو من جفاف:

ـ لقد قيل لي يا سيد "**بليك**" إن السيدة "**كريل**" شوهدت، مرة واحدة على الأقل، وهي تخرج من غرفتك في ساعة متأخرة من الليل. وخيم الصمت على الغرفة، وراح "**فيليب بليك**" ينظر في حيرة وغضب ودهشة إلى "**بوارو**" ، ثم قال

أخيراً:

– من قال لك هذا؟

– ليس من المهم أن تعرف من الذي أخبرني. ولكن المهم هو أني أعرف هذه الحقيقة. وخيم الصمت، وبدا "**فيليب**" في صمت الرجل الذي يقرر في نفسه أمرا، وأخيرا قال:

– يبدو أنك عرفت مسألة خاصة عن طريق المصادفة، وأيا كان الأمر، فإني أجد نفسي مضطرا إلى أن أخبرك بالحقيقة.. الحقيقة التي حاولت إخفاءها من سطور حكايتي. وهز كتفيه ثم أردف قائلاً:

– إنني لا أنكر شعوري العدائي نحو "**كارولين**"، ولكني في الوقت نفسه، كنت مفتونا بها، ولعل هذه الحقيقة هي التي دفعت بعضهم إلى إخبارك بهذا الذي قلته لي الآن، وهذه الحقيقة هي أيضا التي كانت تجعلني أشعر دائما بالثورة على نفسي وعلى خضوعي لجاذبيتها، ومن ثم كنت دائما أحاول أن أتلمس لها الأخطاء وأضخم لها العيوب حتى تصغر في عيني، وتخف وطأة سحرها عليَّ، وأرجو أن تفهم أنني لم أحبها يوما هذا الحب الروحي المقدس، وإنما كنت مفتونا بجاذبيتها، وكنت أخشى في أية لحظة أن أهبط بمشاعري فأراودها عن نفسها.. وجملة الحقيقة هي أنني أحببتها في ميعة الصبا والشباب ولكنها لم تكن تبالي بي، أو تشعر بوجودي، وقد عشت حياتي كلها وأنا لا أغفر لها هذا الموقف. وصمت "**فيليب**" برهة قبل أن يستطرد قائلاً:

– وحانت فرصتي عندما استغرق "**أمياس**" إلى أذنيه في حب هذه الفتاة "**إلزا جرير**"، وإذا أنا أجد نفسي أصارح "**كارولين**" بحبي لها، وإذا هي تقول بهدوء:

– نعم يا "**فيليب**"، لقد كنت أعرف دائما أنك تحبني. فيالها من امرأة رهيبة! كانت تعرف دائما أني أحبها دون أن تحفل بأمري، أو تهتم بمشاعري. ومرة أخرى صمت "**فيليب**" وقد بدت أشد أمارات الحقد على وجهه، ثم استأنف حديثه

قائلا :

– نعم.. كنت أعرف أنها لم تشعر بالحب نحوي يوما. ولكني لاحظت بوضوح مبلغ ما كانت تشعر به من قلق وسخط وثورة بسبب موقف "**أمياس**" من تلك الفتاة "**إلزا**" . وإذا استبدت هذه المشاعر بالزوجة فمن السهل التغلب على مقاومتها.. وهكذا رضيت بزيارتي ليلا في غرفتي بالقصر.. وجاءت ولكني ما كدت أحيطها بذراعي حتى تخلصت مني وقالت بهدوئها القاتل إنه لا فائدة من هذا كله.. وإنها امرأة رجل واحد، امرأة إذا أحبت رجلا، فلن تستطيع أن تحب غيره مهما يكن الحال، وأنها ستبقى على حب "**أمياس**" سواء بقي لها أم تزوج من غيرها. ثم اعترفت أنها عاملتني بقسوة وأساءت إليَّ بقبولها الحضور إليّ وطلبت إليَّ أن أصفح عنها، ثم انصرفت عني، فهل تعجب بعد هذا يا سيد "**بوارو**" إذا قلت لك إن كراهيتي لـ"**كارولين**" قد بلغت الذروة، وإني لم أصفح عنها أو أغفر لها هذه الإهانة التي وجهتها إلى عواطفي، هذا عدا قتلها لأخلص صديق لي.

وارتعد "**فيليب**" فجأة وقال بعنف:

– إنني لا أريد الإفاضة في هذا الحديث، لقد أجبت عن سؤالك، فهلم انصرف عني. وذهب "**بوارو**" إلى السيد "**ميرديث بليك**" وقال له:

– أرجو يا سيد "**ميرديث**" أن تذكر لي ترتيب خروج ضيوفك من غرفة المعمل في ذلك اليوم. فاحتج "**ميرديث**" قائلاً:

– ولكن، كيف أستطيع أن أتذكر هذا يا سيد "**بوارو**"، بعد مرور ستة عشر عاما؟ يكفي أني قلت لك إن "**كارولين**" كانت آخر من غادر الغرفة.

– هل أنت واثق بهذا؟

– نعم.. على الأقل.

– هلم نمضي إلى غرفة المعمل لتستعيد ذكرياتك، فإننا نريد أن نتأكد ونحن هناك في غرفة المعمل، قال "**بوارو**" :

– والآن يا سيد "**بليك**"، لقد حدثت ضيوفك عن هوايتك ثم بدأوا ينصرفون،

أغمض عينيك وحاول أن تتذكر ترتيب خروجهم. وأطاع "**ميرديث**"، وأغمض عينيه، وتناول "**بوارو**" منديلاً وراح يلوح به أمام وجهه، وغمغم "**ميرديث**" وهو يستنشق الرائحة:

– نعم.. نعم.. عجيب أن تتضح الذكريات أمام ذهني هكذا، إني أتذكر "**كارولين**"، كانت ترتدي ثوبا في لون القهوة الخفيفة، وكان "**فيليب**" يبدو ملولا، هكذا دائما كلما سمعني أتحدث عن هوايتي. وقال "**بوارو**":

– تذكر الآن، إنكم توشكون على مغادرة المعمل إلى المكتبة لتقرأ عليهم الفصل الخاص بموت "**سقراط**"، من الذي غادر الغرفة أولا؟

– "**إلزا**" وأنا.. نعم. لقد اجتازت الباب أولا وأنا وراءها كنت أواصل الحديث معها، ثم وقفنا خارج الباب ننتظر خروج الباقين حتى أغلق الباب بالمفتاح.. "**فيليب**".. نعم غادر "**فيليب**" الغرفة بعدنا، ثم.. "**أنجيلا**"، ثم "**أمياس**".. وبقيت أنتظر خروج "**كارولين**".

– أي أنك واثق تماما بأنها كانت آخر من غادر الغرفة، فهل رأيت ماذا كانت تفعل بها؟

– لا.. لقد كنت واقفا وظهري إلى الباب أتحدث إلى "**إلزا**" وأثير – ولا شك – الملل في نفسها بحديثي.. ثم أقبلت "**كارولين**" مسرعة وأغلقت الباب بالمفتاح.. وتوقف عن الحديث، وفتح عينيه. ورأى "**بوارو**" وهو يعيد المنديل إلى جيبه، وتشمم الهواء برهة، ثم قال لنفسه: «عجبا.. إن الرجل يضع في منديله عطرا. ثم قال بصوت مسموع:

– إنني واثق بهذا الترتيب.. "**إلزا**" أولا.. ثم أنا.. ثم "**فيليب**".. ثم "**أنجيلا**".. ثم "**أمياس**".. وأخيراً "**كارولين**".. فهل هذا يوضح شيئًا؟ فقال "**بوارو**":

– نعم، يوضح كل شيء يا سيد "**بليك**"، إنني سأدعو الباقين للاجتماع هنا، في هذه الغرفة.. فهل لديك اعتراض؟

ـ لا . . مطلقا، ولكن لماذا؟

ـ لنعرف الحقيقة كلها. ثم ذهب إلى "**إلزا**" وسألها:

ـ أرجو أن تسمحي لي بإلقاء سؤال واحد يا سيدة "**ديتشام**":

ـ اسأل . .

ـ بعد أن انتهى كل شيء بعد المحاكمة وصدور الحكم، هل طلب "**ميرديث**" الزواج بك؟ فحدقت "**إلزا ديتشام**" النظر إلى وجه "**بوارو**"، ثم ارتسمت على وجهها أمارات السأم والاحتقار، وقالت:

ـ نعم، طلب أن أتزوج به . . ولكن لماذا تسأل؟

ـ وهل أدهشك هذا الطلب؟

ـ أدهشني؟ إنني لا أتذكر.

ـ بم أجبته؟

ـ بم تظن أني أجبته؟ أيعقل أن أتزوج بعد غرامي بـ"**أمياس**؛ برجل مثل "**ميرديث**"؟ إن هذا يثير السخرية والضحك، لقد كان أحمق في طلبه الزواج بي، وهو دائما غبي أحمق. وابتسمت في شحوب وقالت:

ـ لقد أراد أن يحميني ويرعاني، هكذا قال، ظن أن الرأي العام كله ضدي، وأنه لم يعد لي مجال للحياة في هذا البلد . . ولكن المسكين لم يكن يعرف أنني كنت أستمتع بما حدث، ولم يكن يهمني رأي الغوغاء في.

أجابت الآنسة "**ويليامز**" عن سؤال "**بوارو**" بشأن إصابة "**أنجيلا**" على يد أختها قائلة:

ـ لمست "**أنجيلا**" ذات يوم خدها المشوه، وقالت:

ـ إن "**كارولين**" هي التي فعلت هذا، ضربتني بثقالة ورق وأنا طفلة صغيرة جداً ولكن، لا تشيري إلى هذا الموضوع أمامها لأنها تضطرب جداً كلما تذكرته. فقال "**بوارو**":

ـ ولكني سمعت أو عرفت في أثناء تحرياتي أنها ضربتها بقضيب حديدي.

– إنني لا أعرف شيئًا عن هذا.

– ألم تشر السيدة "**كريل**" ذات مرة إلى الموضوع في أحاديثها معك؟

– كانت تشير إليه بطريقة غير مباشرة، على أساس أنني أعرف كل شيء عنه، وأذكر أنها قالت لي مرة: أنا أعرف أنك تظنين أنني أفسد "**أنجيلا**" بتدليلي لها وإسرافي في تلبية رغباتها، ولكنني أشعر دائما بأنني مهما فعلت لها، فلن أستطيع أن أعوضها عن تشويهي لوجهها. وقالت في مناسبة أخرى ليس هناك عذاب أشد من إحساس الإنسان بأنه السبب المباشر في إصابة شخص آخر بعاهة مستديمة. فقال "**بوارو**":

شكرا يا آنسة "**ويليامز**"، هذا هو كل ما أردت أن أعرفه استقبلت "**أنجيلا وارين**" "**هركيول بوارو**" في مودة وترحاب، وقالت:

– هل استطعت أن تكتشف جديدا في الموضوع؟ فأومأ "**بوارو**" برأسه وقال:

– يمكنني أن أقول إنني في الطريق إلى الحقيقة أخيرا.. فتساءلت قائلة بصوت فيه من نبرات الشك أكثر مما فيه من نبرات اليقين:

– هل هو "**فيليب بليك**"؟ وهز "**بوارو**" كتفيه وقال:

– إنني يا آنسة "**وارين**" لا أريد الآن أن أقول شيئًا. إن الوقت لم يحن بعد لكشف الحقيقة كلها، وكل ما أرجوه منك أن تتفضلي بالحضور إلى منزل السيد "**ميرديث**" في ضيعة "**هاندكروس**".. وسيحضر الجميع هناك.

– ماذا تنوي أن تفعل، أتعتقد أن في مقدورك إعادة الموقف إلى ما كان عليه منذ ستة عشر عاما؟

– ربما استطعت أن أرى الموقف من زاوية أوضح.. هل ستحضرين؟؟

– نعم.. سأحضر، فمن الطريف أن أرى كل هؤلاء الناس مرة أخرى بعد كل هذه المدة الطويلة.. ولعلي أراهم، كما قلت، من زاوية أوضح.

– هل ستحضرين معك الخطاب الذي أطلعتني عليه، الخطاب الذي أرسلته إليك أختك عقب صدور الحكم عليها؟ فقطبت "**أنجيلا**" جبينها وقالت:

– إن هذا الخطاب من خصوصياتي، وقد أطلعتك عليه لأسباب أوضحتها لك، ولست مستعدة لأن يقرأه أشخاص غرباء لا يفهمون ولا يقدرون. ولكنني سأحضر معي الخطاب على سبيل الاحتياط، فإذا وجدت ما يدعو إلى قراءته، فلن أمانع.

- 14 -

كانت أشعة الشمس تنساب إلى غرفة المعمل من نافذتها الغربية، وكانت ثمة مقاعد وثيرة قد صفت بها لتستقبل المدعوين للاجتماع. وكان "**ميرديث**" يتحدث إلى "**كارلا**" في شيء من الاضطراب، وهو يعبث بشاربيْه، ثم إذا هو يتوقف فجأة ويقول:

– أوه، إنك يا عزيزتي تشبهين والدتك في جوانب كثيرة، ولكنك تختلفين عنها في جوانب أخرى.

– فيم أشبهها، وفيم أختلف عنها؟ فتردد "**ميرديث**" برهة قبل أن يقول:

– إنك تشبهينها في لون البشرة. وفي الحركة.. ولكنك تخالفينها في أنك أكثر منها واقعية وإدراكا لحقائق الحياة. وكان "**فيليب بليك**" ينظر مقطب الجبين من النافذة إلى المروج الخضراء، وينقر في ضيق، وتوتر عصبي على المصراع، ثم يقول:

– ما معنى هذا كله؟ إن الجو اليوم رائع، وكان ينبغي أن نقضي هذه الفترة في لعب الجولف بدلا من الجلوس في هذه الغرفة المهجورة، فأسرع "**بوارو**" يقول:

– أوه. إنني أسف يا سيد "**بليك**. حقًّا إن الجو اليوم رائع ومناسب للعب الجولف، ولكن هذه هي "**كارلا**" ابنة أعز صديق لك، وأعتقد تماما أنك لا تتردد في تقديم أية مساعدة لها. وعندئذ أقبل الخادم وقال:

– حضرت الآنسة "**وارين**". ونهض "**ميرديث**" لاستقبالها قائلاً:

– جميل منك يا آنسة "**وارين**" أن تحضري، على الرغم من مشاغلك الكثيرة.

وسار معها نحو النافذة. ونهضت "**كارلا**" وهي تهتف في سرور:

– هاللو خالتي "**أنجيلا**"، قرأت مقالتك في صحيفة "**التايمز**" هذا الصباح، جميل جداً أن يكون للإنسان خالة مشهورة مثلك. ثم أشارت إلى شاب طويل، عريض الفكين، رمادي العينين، هادئ السمت وقالت:

– هذا هو "**جون راتيري**"، الذي أرجو أن يتم زواجي به. وتمتمت "**أنجيلا**" قائلة:

– أوه.. لم أكن أعرف. ومضى "**ميرديث**" لاستقبال الآنسة "**ويليامز**" التي بدت عند الباب، فصافحها في حرارة قائلاً:

– أوه الآنسة "**ويليامز**"، لقد انصرمت أعوام عديدة منذ تقابلنا آخر مرة. تقدمت الآنسة "**ويليامز**" بجسمها النحيل الطويل. وعينيها المركزتين على "**بوارو**". ثم إذا هي تلتفت إلى الشاب "**جون راتيري**" وتتأمله. وأسرعت "**أنجيلا وارين**" إليها وقالت لها باسمة وهي تصافحها:

– تصوري يا آنسة "**ويليامز**"، إنني أشعر الآن كأني مازلت تلميذة أمام مدرستها الحبيبة الحازمة. فقالت الآنسة "**ويليامز**" بصوت ينم عن السرور والحماس:

– إنني جد فخورة بك يا آنسة "**وارين**"، لقد شرفتني ورفعت رأسي عاليا، إذ بحسب الإنسان سرورا ورضاء أن يكون له تلميذة رائعة مثلك. ثم التفتت إلى "**كارلا**" وأردفت قائلة:

– أعتقد أن هذه "**كارلا**" آه.. إنها لا تذكرني بالتأكيد، فقد كانت جد صغيرة. واستدار "**فيليب بليك**" وقال متجهما:

– ما هذا كله؟ إن أحدا لم يخبرني بأن.. وأسرع "**هركيول بوارو**" قائلاً:

– آه، معذرة يا سيد "**بليك**"، إنني أسمي هذا الاجتماع "رحلة إلى الماضي"، تفضلوا جميعا بالجلوس، وسوف نبدأ الاجتماع فور وصول العضو الأخير، السيدة "**إلزا ديتشام**" وعندما تصل سوف تظهر الأرواح. فقال "**فيليب**":

ـ ما هذا الهراء يا سيد "**بوارو**"، هل هي جلسة تحضير أرواح؟

ـ لا.. لا. ليس هذا ما أعني، ولكنني أعتقد أن حديثنا عن الماضي، وتبادلنا الآراء فيما حدث بشأن المأساة الأليمة، سيؤدي إلى استحضار روح "**أمياس كريل**"، وروح زوجته "**كارولين**" في هذه الغرفة دون أن نراهما، ولكن من المؤكد أننا سنشعر بهما.

وفي هذه اللحظة فتح الخادم الباب وقال:

ـ السيدة "**ديتشام**". وأقبلت "**إلزا**" إلى الغرفة في جرأة ووقاحة واستهتار. وأومأت برأسها في ابتسامة خفيفة إلى "**ميرديث**"، وأرسلت نظرة باردة إلى "**أنجيلا وارين**" ثم مضت إلى مقعد منفرد عن بقية المقاعد، بالقرب من النافذة، وخلعت معطفها ذا الفراء الثمين ثم تلفتت برهة في جوانب الغرفة، هذا بينما كانت "**كارلا**" تتأمل هذه المرأة التي كانت السبب المباشر في وقوع المأساة.. المأساة التي حرمتها أباها ولطخت اسم أمها بالجريمة والعار.

ولكن لم يكن في نظراتها أية أمارات للحقد والعداء. وقالت "**إلزا**" في برود:

ـ إنني آسفة إذا كنت تأخرت قليلا يا سيد "**بوارو**". ثم وجهت الحديث إلى "**أنجيلا**" قائلة:

ـ كدت ألا أعرفك يا "**أنجيلا**"، كم مضى من السنين على.. على.. آخر لقاء؟ ستة عشر عاما؟ وانتهز "**هركيول بوارو**" هذه الفرصة وقال:

ـ نعم، مضى ستة عشر عاما على هذه الأحداث التي سنتناولها الآن بالشرح والتفصيل، وأحب أولاً أن أوضح لكم السبب في هذا الاجتماع. وفي كلمات قليلة واضحة، ذكر لهم المهمة التي كلفته بها "**كارلا لامرشان**" وقبوله القيام بها على الرغم من صعوبة البحث والتحري عن جريمة وقعت منذ ستة عشر عاما، وصدر فيها الحكم بالإدانة.

وكان يتحدث بسرعة، متجاهلا ثورة الغضب التي كانت تتجمع على وجه "**فيليب**"، وأمارات الاشمئزاز التي نم عنها وجه "**ميرديث**" وكان "**بوارو**" قد

اختتم حديثه قائلا:

– نعم.. قبلت القيام بهذه المهمة للبحث عن الحقيقة.

وكانت "**كارلا لامرشان**" ابنة "**كريل**" و"**كارولين**" جالسة في مقعد وثير، تسمع صوت "**بوارو**" وكأنه آت من بعيد.. وتتأمل وجوه الأشخاص الخمسة المجتمعين في الغرفة، كما سبق أن اجتمعوا مع أبيها وأمها منذ ستة عشر عاما، كانت تتأمل وجوههم وهي تظلل عينيها بيديها، وكانت تتساءل: «هل يمكن أن يكون أحدهم هو القاتل: "**إلزا**" المستهترة، أم "**فيليب**" الغاضب، أم "**ميرديث**" الهادئ، أم الآنسة "**ويليامز**" الحازمة، أم "**أنجيلا**" الثابتة الرزينة؟» هل تستطيع هي، مهما حاولت، أن تهتدي إلى القاتل الحقيقي من بين هؤلاء الأشخاص الخمسة الذين شهدوا المأساة؟ وكان "**بوارو**" قد بدأ الحديث في صميم الموضوع، وكان يقول:

– هذه هي المهمة التي كلفت بها، أن أعود أدراجي عبر السنين، لأكشف حقيقة ما حدث و..

وقال "**فيليب بليك**":

– ولكننا هنا نعرف جميعًا ما حدث، وإذا حاول أحدنا أن يزعم غير هذا فهو مخطئ.. نعم، إنك تأخذ مالا من هذه الفتاة بغير مقابل، هذه حقيقة لا جدال فيها. إنه نوع من الاحتيال والتغرير. وأبى "**بوارو**" أن يغضب، ومن ثم قال:

– إنك تقول إنكم جميعًا تعرفون حقيقة ما حدث، والواقع أنك تلقي بهذا القول في غير تفكير، فليس من الضروري أن يكون كل ما قيل عن حقائق المأساة صادقًا تمامًا، والدليل على هذا يا سيد "**بليك**" أنك ذكرت في تقريرك بوضوح أنك تكره "**كارولين**" وتحقد عليها.. فهل أنت صادق في هذا القول؟ إن أي مبتدئ في علم النفس يعرف أن الحقيقة هي العكس وأن حقدك عليها نابع من رغبتك فيها، من حبك المادي لها. لقد كنت دائما مفتونا بها، خاضعا لجاذبيتها، وكنت ثائرًا على هذا الامتهان وهذا الخضوع، وكثيراً ما بذلت الجهد لمقاومة هذه الرغبة العارمة

نحوها، وبسبب هذه الرغبة في المقاومة، ظللت توحي لنفسك بأنها امرأة شريرة، خبيثة، كثيرة العيوب متعددة الأخطاء جديرة بكراهيتك، لا بحبك.. وكذلك كان الأمر مع أخيك "**ميرديث**"، ولكن بطريقة مختلفة. كان "**ميرديث**" متفانيا في حب "**كارولين**"، وقد حاول في تقريره أن يعبر عن هذا الحب بطريق غير مباشر.. أي طريق التنديد بأخطاء "**أمياس كريل**" وسوء تصرفاته معها، وقسوته عليها.. إذا نحن أمعنا النظر في تقريره لأدركنا من بين السطور أن حبه لـ"**كارولين**" كان قد بدأ يخمد ويتلاشى، ليحل محله حب آخر: حب الفتاة الصغيرة الجميلة "**إلزا**". كان من الواضح من تقريره أن "**إلزا**" هي التي تملأ عليه فكره وقلبه. وتمتم "**ميرديث**" بكلمات غامضة.. وابتسمت "**إلزا ديتشام**".. واستطرد "**بوارو**" يقول:

– إنني أذكر هذه الحقائق على سبيل المثال وإن كانت لها دلالاتها على المأساة ذاتها.. حسنًا، لقد رحلت عبر السنين إلى أحداث هذه المأساة منذ أن كلفتني الآنسة "**كارلا**" بهذه المهمة، تحدثت إلى مفتش البوليس الذي تولى التحقيق، وتحدثت إلى الأشخاص الخمسة الذين شهدوا المأساة، واستلمت تقاريرهم المكتوبة. وأستطيع أن أقول إني عثرت في هذه التقارير على ما كنت أبحث عنه، كنت أبحث عن تفاصيل بسيطة غفل عنها رجال البوليس لفرط بساطتها، وعلى الرغم من أهميتها، وهذه التفاصيل البسيطة المهمة هي: أولا: أحاديث معينة وتصرفات خاصة أهملها رجال البوليس على أنها غير ذات أهمية، وثانيا: آراء بعض الشخصيات المحيطة بـ"**كارولين**" عن تفكيرها ومشاعرها، وأنا أعترف أن المحكمة ما كانت تعتمد على هذه الآراء من الناحية القانونية، ثالثا: حقائق معينة أخفيت عمدا عن رجال البوليس. وصمت "**بوارو**" برهة، قبل أن يستطرد قائلا:

– وإنني الآن في وضع يتيح لي الحكم في الموضوع بنفسي.. وأنا لا أنكر أنه كان هناك الدافع القوي الذي يبرر ارتكاب "**كارولين**" جريمة قتل زوجها، فقد كانت تحب زوجها حبا جنونيا، واعترف هو أمامها بصراحة بأنه سيهجرها من أجل امرأة

أخرى، واعترفت هي أنها زوجة شديدة الغيرة. إذا انتقلنا من دوافع الجريمة إلى الوسائل وجدنا أنه عثر على زجاجة فارغة كانت تحتوي على سم "**الكونين**" في درج خزانة ملابسها، وأنه لم يوجد على هذه الزجاجة بصمات أصابع أحد غير بصماتها هي، ولما سئلت عنها في أثناء التحقيق، اعترفت بأنها أخذت سم "**الكونين**" من هذه الغرفة التي نجلس فيها الآن.. وزجاجة "**الكونين**" التي كانت هناك كانت عليها أيضا بصمات أصابعها، أي أنها صادقة في هذا الاعتراف، ولما سألت السيد "**ميرديث**" عن ترتيب خروجكم من هذه الغرفة يومذاك، قال إن "**كارولين**" كانت آخر من غادرها، وأهم من هذا أنه كان هو موليا ظهره إليها، مشغولا بالحديث مع الآنسة "**إلزا جرير**"، أي أنه كان من المستحيل عليه أن يعرف ماذا كانت تفعل "**كارولين**" في الغرفة قبل خروجها، معنى هذا أن الفرصة كانت سانحة لها لكي تختلس كمية "**الكونين**"، وأنا من هذه الناحية مطمئن تماما أنها فعلاً أخذت كمية من السم.. من هذه الغرفة.

ومن الطريف في هذا الموضوع، أو في هذه النقطة بالذات، أن السيد "**ميرديث**" ذكر لي في أثناء حديثه عنها أنه كان يشم رائحة "**الياسمين**" تنساب من أشجار "**الياسمين**" النامية وراء النافذة، وقد نسي أن الحادث وقع في شهر أيلول (سبتمبر) أي في شهر لا يمكن أن تتفتح فيه أزهار "**الياسمين**"، ولكن "**الياسمين**" الذي شم رائحته في ذلك الحين، هو العطر الذي سكبته "**كارولين**" من زجاجة في حقيبتها لتضع فيها كمية من سم "**الكونين**"، وإذا دل هذا على شيء فإنما يدل على أن "**كارولين**" قررت فجأة - وبعد سماعها عن مفعول "**الكونين**" الذي يميت بغير آلام - أن تختلس كمية منه، فأفرغت زجاجة العطر لهذا الغرض، وقد قمت أمس بتجربة صغيرة في هذا الشأن مع السيد "**ميرديث**" فجعلته يغمض عينيه ليستعيد موكب الذكريات، ثم لوحت أمامه بمنديل معطر بـ"**الياسمين**"، فتتابعت الذكريات في ذهنه، وكلنا يعرف أثر الروائح في بعث الذكريات من مرقدها. وعندئذ قال "**فيليب**" في شيء من الضيق والضجر:

– ما معنى كل هذه الأدلة التي تسوقها لتثبت أن "**كارولين**" اختلست من هذه الغرفة كمية من السم ؟ أما يكفي اعترافها؟

فابتسم "**بوارو**" وقال :

– بعض المتهمين يدلون، لأسباب خاصة، باعترافات غير صحيحة.

– حسنًا، ولكن جميع الأدلة، مع اعترافات "**كارولين**" قد أثبتت أنها هي – لا أحد آخر – التي اختلست كمية السم.. فلماذا كل هذا الاستطراد؟

ومرة أخرى أبى "**بوارو**" أن يغضب ثم قال :

– أردت من هذا الاستطراد أن أثبت بالدليل القاطع أن "**كارولين**" هي فعلاً وقولاً التي اختلست السم.

فقال "**فيليب**" في صوت ينم عن السخرية :

– وبالتالي لتثبت، قولاً وفعلاً، أنها هي التي ارتكبت الجريمة وأعتقد أن رجال البوليس كانوا أسبق منك في هذا الشأن.

– مهلاً يا سيد "**فيليب بليك**"، لسوف أنتقل إلى نقطة أخرى لا يستطيع أحد أن يماري فيها، فقد اجتمعت أقوال الشهود على أن "**إلزا جرير**" صارحت "**كارولين**" بعزمها على الزواج من "**أمياس**"، وأن "**أمياس**" اعترف لزوجته بهذه الحقيقة، وأن "**كارولين**" كانت في حالة نفسية سيئة بعد هذا الاعتراف.. حسنًا.. كل هذا مفروغ منه.. لننتقل الآن إلى الأحداث التي وقعت في صباح يوم المأساة. في هذا الصباح وقعت مشادة أو مشاجرة أو شيء من هذا القبيل بين "**أمياس**" وزوجته في غرفة المكتبة.. وقد سمعها السيد "**فيليب بليك**" وهو يمر بالصالة. وكذلك سمعتها "**إلزا جرير**"، وهي جالسة تحت نافذة غرفة المكتبة، تقول بصريح العبارة لزوجها : « هكذا أنت مع نسائك.. لسوف أقتلك في يوم ما » وقد ذكرت "**إلزا جرير**" أنها سمعت "**أمياس**" وهو يطلب إلى زوجته أن تتعقل وتتزن ولا تثور في تصرفاتها، فأجابت "**كارولين**" عليه بأنها تفضل أن تراه ميتا على أن يتزوج من هذه الفتاة، ثم غادر "**أمياس**" غرفة المكتبة وطلب إلى "**إلزا جرير**" أن

تمضي معه إلى حديقة البحر؛ لكي تجلس معه في الوضع الخاص حتى يفرغ من رسم اللوحة، فطلبت إليه أن ينتظر قليلا ريثما تأتي بصدارها الصوفي لتحتمي به من برودة هواء البحر.. وصمت "**بوارو**" برهة قبل أن يقول مستطردا:

– إلى هنا ونحن نجد تصرفات كل شخصية في المأساة تبدو طبيعية متناسقة من جميع النواحي السيكولوجية.. فقد كان كل واحد يتصرف كما هو منتظر منه. ولكننا سننتقل الآن إلى مرحلة بدت فيها بعض التصرفات غير منطقية، وغير منتظرة، ومع ذلك لم يحاول أحد يومذاك أن يسأل عن السبب.. وتحولت نبرات صوت "**بوارو**" فجأة من السهولة واللين إلى الجد والحزم وهو يقول:

– اكتشف "**ميرديث بليك**" سرقة أو ضياع كمية من سم "**الكونين**" من معمله في الصباح، فاتصل تليفونيا بأخيه "**فيليب**" الذي كان ينزل ضيفًا على "**أمياس**" و"**كارولين**"، وطلب إليه "**فيليب**" أن يسرع بالحضور إلى قصر "**ألدربري**" ليتبادل معه الحديث في هذا الأمر.. وذهب هو أي "**فيليب**" لاستقبال أخيه عند ضفة الخليج، وفيما هما عائدان إلى القصر في الممر سمعا "**كارولين**" تتناقش مع زوجها "**أمياس**" بشأن إلحاق "**أنجيلا**" بالمدرسة. فما رأيكم في هذا التصرف؟ فهل هو يتناسق ويتطابق من الناحية السيكولوجية؟ هل هو تصرف منطقي معقول؟ ألم يخطر ببال أحد أن يتساءل كيف يتناقش زوجان في موضوع صغير يخص إلحاق "**أنجيلا**" بالمدرسة، بعد هذه المشاجرة العنيفة التي سمعت فيها الزوجة وهي تهدد زوجها بالموت؟ أيمكن أن يحدث أن تتشاجر زوجة مع زوجها إلى حد تهديده بالموت ثم تذهب إليه بعد عشرين دقيقة لكي تتناقش معه في موضوع إلحاق أختها بالمدرسة؟ والتفت "**بوارو**" إلى "**ميرديث**" وقال له:

– لقد ذكرت في تقريرك أنك سمعت "**أمياس كريل**" يقول لزوجته: «لقد انتهى كل شيء، ولسوف ترحل». أليس كذلك؟

فقال "**ميرديث**" فورًا:

– بلى.. سمعت هذه العبارة بوضوح.

- وقال "**فيليب**" مؤكداً:

- نعم.. أذكر أني سمعت شيئًا من هذا القبيل ونحن نقترب من باب حديقة البحر. فقال له "**بوارو**" :

- هل أنت متأكد تمامًا أنك سمعت هذه العبارة أو ما في معناها؟ فقطب "**فيليب**" جبينه وقال:

- نعم.. بالتأكيد، سمعت شيئًا عن حزم الحقائب والرحيل.

- وكان المتحدث "**أمياس كريل**" وليست "**كارولين**" ؟

- بكل تأكيد.. وأذكر أن "**كارولين**" قالت له إنه شديد القسوة على الفتاة، لماذا تلح في هذه الأسئلة؟ فقد كنا نعرف أن الموضوع يتعلق برحيل "**أنجيلا**" إلى المدرسة. وقال "**ميرديث**" :

- نعم، فإن "**كارولين**" حين رأتنا ابتسمت، وقالت إنها كانت تتحدث إلى زوجها بخصوص إلحاق "**أنجيلا**" بالمدرسة وإصراره على ترحيلها في أقرب فرصة.. ولكن ما علاقة هذا كله بارتكاب الجريمة يا سيد "**بوارو**"؟ فابتسم "**بوارو**" وقال:

- إن لها أكبر علاقة، إنها الخيط الأول من الضوء الذي هداني إلى الحقيقة، وقد اتصل به مباشرة خيط آخر زاد الحقيقة ضوءا، وذلك أن "**كارولين**" ، المخذولة المهجورة، الكسيرة الجناح التي تفكر في الانتحار، أو تدبر مقتل زوجها والتي هددته علانية بالموت، "**كارولين**" هذه تعد زوجها في هدوء ورضاء بأن تأتي إليه بزجاجة بيرة مثلجة بعد أن أعرب عن اشمئزازه من الشراب الساخن الموجود في الحديقة... فهل مثل هذا التصرف أيضًا يطابق قوانين علم النفس البديهية؟ فقال "**فيليب بليك**" :

- نعم.. إنه تصرف معقول مادامت تدبر مقتل زوجها، فقد كانت فرصتها السانحة لتدس له السم في الشراب. فقال "**بوارو**" :

- أتعتقد هذا؟ إذا كانت قررت فعلا دس السم لزوجها، وإذا كان زوجها يحتفظ ببضع زجاجات من البيرة في الحديقة، فلماذا لم تضع هذا السم في زجاجة أو

اثنتين من هذه الزجاجات التي ثبت أنها لم تكن تزيد عن ثلاث وكان هذا في مقدرتها دون أن يراها أحد؟ فهز "**فيليب**" رأسه وقال:

– لا.. لم يكن في مقدرتها أن تفعل هذا خشية أن يشرب شخص آخر مثل "**إلزا جرير**" مثلا.

– أتريد أن تقول لي إن المرأة التي قررت قتل زوجها سوف تخشى من قتل عشيقته خطأ؟

وصمت "**بوارو**" برهة قبل أن يستطرد قائلاً:

– لكن.. دعونا من هذه الاحتمالات ولنركز اهتمامنا على الحقائق، لقد قالت "**كارولين**" إنها ستبعث إلى زوجها بزجاجة بيرة مثلجة، ثم صعدت إلى القصر وتناولت من الثلاجة زجاجة بيرة، وعادت بها إليه، وصبت منها في الكأس التي كانت موضوعة بجانبه، وشرب هو الكأس في جرعة واحدة، وبدا عليه التأفف وقال: «كل شيء في فمي اليوم مر».. ثم عادت "**كارولين**" إلى القصر بعد ذلك وحل موعد طعام الغداء، وجلست هي مع الضيوف كالمعتاد لتناول الطعام، وقد اجتمعت الآراء على أنها كانت ثابتة لا يبدو عليها غير شيء يسير جداً من القلق، ولكن هذا لا يهم، فهناك قاتلات ثابتات الأعصاب وقاتلات متوترات الأعصاب، تنم تصرفاتهن عن اضطراب نفوسهن، ولهذا السبب فلن أهتم كثيرا بهذه النقطة. وبعد الغداء، ذهبت "**كارولين**" لتنظر فيما إذا كان زوجها محتاجا إلى شيء. وهناك وجدته ميتا.. ونستطيع أن نقول إنها اضطربت، فأرسلت الآنسة "**ويليامز**" لاستدعاء الطبيب، وهنا سننتقل إلى حقيقة لم يسبق أن عرفها أحد منكم غير الآنسة "**ويليامز**"..

ثم التفت إلى الآنسة "**ويليامز**"، فلما أومأت له برأسها قال:

– والتقت الآنسة "**ويليامز**" وهي في طريقها إلى التليفون بالسيد "**ميرديث**"، فكلفته بمهمة استدعاء الطبيب، وعادت إلى "**كارولين**" لتبقى بجانبها.. فماذا تظنون أنها رأت؟ وخيم الصمت الرهيب على غرفة المعمل المهجور، بينما يشرح

"**بوارو**" الخطير من الأمور:

– رأت "**كارولين**" وهي تزيل بمنديلها آثار بصمات أصابعها عن زجاجة البيرة وتطبع عليها بصمات أصابع زوجها. وشحب وجه "**كارلا**"، واتسعت عينا "**أنجيلا وارين**"، وتمتم "**ميرديث**" بكلمات غامضة، وقال "**فيليب**":

– ألم أقل.. ولكن "**إلزا جرير**" أو السيدة "**ديتشام**" تململت في مقعدها، ونظرت إلى الآنسة "**ويليامز**" في دهشة بالغة وقالت:

– أرأيتها حقًّا.. تفعل هذا؟

فقالت الآنسة "**ويليامز**" في صوت ينم عن الاحتقار:

– إنني لم أتعود الكذب في التفاهات، فكيف أكذب في الخطير من الأمور؟

ووثب "**فيليب**" قائلا:

– إن هذا يضع حدا للأمر كله، فلا داعي للمزيد من الحديث، وأعتقد يا سيد "**بوارو**" أنك لم تفعل أكثر من أن أكدت إدانة "**كارولين**" بطريقة لا تدع للشك مجالا. فنظر "**بوارو**" إليه في هدوء وقال:

– من قال هذا؟ وقالت "**أنجيلا**" في صوت حاد:

– إنني لا أصدق هذا.. أبدًا. وراح "**ميرديث**" يشد شعيرات شاربيه في اضطراب، وظلت الآنسة "**ويليامز**" هادئة في مكانها تقول بثبات:

– هذا ما رأيته بعيني، وأقسم على ذلك أمام الله. وقال "**بوارو**" بهدوء:

– ليس لدينا بالتأكيد أي دليل يثبت هذه الحقيقة غير كلمة الآنسة "**ويليامز**".

فنظرت الآنسة "**ويليامز**" إليه بثبات وقالت:

– نعم.. ولكنني لم أعتقد أن توضع كلمتي موضع الشك.. فأومأ "**بوارو**" لها برأسه وقال:

– وأنا يا آنسة "**ويليامز**" لا أشك فيما تقولين، لقد رأيت فعلا ما حدث ولهذا السبب بالذات، أي ما قامت به "**كارولين**" من إزالة بصمات أصابعها عن زجاجة البيرة وطبع بصمات زوجها، قررت عن يقين وتأكيد بأنها لم ترتكب هذه الجريمة

ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون هي المذنبة. ولأول مرة قال الشاب الطويل "**جون راتيري**" خطيب "**كارلا**" في صوت هادئ:

– يهمني أن أعرف يا سيد "**بوارو**" لماذا تقول هذا؟ فالتفت "**بوارو**" إليه وقال باسما:

– سوف أخبرك، ماذا رأت الآنسة "**ويليامز**"، رأت "**كارولين**" تزيل في لهفة بمنديلها آثار كل ما على الزجاجة من بصمات، آثار بصمات أصابعها وطبع بصمات أصابع زوجها الميت.. وأرجو أن تستوعبوا هذه الحقيقة المهمة جداً، وهي أنها فعلت هذا بزجاجة البيرة، أليس كذلك يا آنسة "**ويليامز**"؟ فأومأت الآنسة "**ويليامز**" برأسها قائلة:

– نعم... بزجاجة البيرة. فابتسم "**بوارو**" ابتسامة المنتصر وقال:

– هذا مع العلم بأن التحليل الطبي أثبت بصفة قاطعة أن سم "**الكونين**" لم يكن موجودا في زجاجة الشراب، وإنما وجدت آثاره في الكأس الموضوعة بجانبها التي كان "**أمياس**" يشرب منها.. فما معنى هذا؟ معناه الواضح أن "**كارولين**" لم تكن تعرف الحقيقة، وإنما ظنت فقط أن "**الكونين**" كان موضوعا في زجاجة الشراب، فهل يستطيع عاقل بعد هذا أن يصدق أنها قاتلة زوجها؟ على الرغم من أنها لم تكن تعرف أين دس السم في شرابه. فقال "**فيليب بليك**" دهشاً:

– ولكن.. لماذا حاولت أن.. فقاطعه "**بوارو**" بحدة:

– نعم.. لماذا أزالت بصمات أصابعها وأصابع غيرها من الزجاجة، وطبعت عليها بصمات أصابع زوجها.. نعم لماذا؟ من حق كل إنسان أن يسأل، ومن واجبي أنا، الباحث عن الحقيقة، أن أجيب إجابة مقنعة، لا سبيل إلى الشك فيها، وهذه الإجابة هي: أنها كانت تعرف من الذي قتل زوجها، وأنها على استعداد لأن تفعل أي شيء، وأن تحتمل أي شيء حتى تبعد التهمة عن ذلك الشخص.

وصمت "**بوارو**" برهة قبل أن يردف قائلاً وهو يشيح بوجهه عن "**أنجيلا وارين**":

– ومن السهل علينا أن نعرف من هي الشخصية التي كانت "**كارولين**" على

استعداد لاحتمال أي شيء من أجلها. فهل يمكن أن تكون هذه الشخصية الغالية: "**فيليب**" أو "**ميرديث**" أو الآنسة "**ويليامز**"، أو "**إلزا جرير**"؟ لا، لا يمكن أن يكون أحد هؤلاء أغلى على "**كارولين**" من حياتها.. إذن فمن تكون؟ وصمت "**بوارو**" برهة قبل أن يوجه الحديث إلى "**أنجيلا وارين**" قائلاً:

– الآنسة "**وارين**".. إذا كنت قد أحضرت معك الخطاب الذي أرسلته إليك أختك بعد صدور الحكم، فأرجو أن تسمحي لي بقراءته هنا. فقالت "**أنجيلا**" بحدة:

– لا..

– ولكن.. يا آنسة "**وارين**" إن الأمر.. فوثبت "**أنجيلا**" قائلة:

– إنني أفهم تماما ماذا تعني، إنك تريد أن تقول إنني أنا قاتلة "**أمياس كريل**" أليس كذلك؟ أنا قاتلة "**أمياس**"، وقد حاولت أختي أن تحميني وتتستر عليَّ، ولكنني أنكر هذا الاتهام المزعوم بكل قوة.

– الخطاب يا آنسة "**وارين**".

– إن هذا الخطاب من شؤوني الخاصة، لقد أرسل إليَّ لا إلى أحد غيري. ونظر "**بوارو**" إلى "**كارلا**" وخطيبها الواقفين معا في شيء من الاضطراب، وعندئذ قالت "**كارلا**" في رجاء:

– أرجو منك يا خالتي "**أنجيلا**" أرجو منك، لماذا لا تسمحين بقراءة الخطاب؟ فقالت "**أنجيلا**":

– عجبا يا "**كارلا**".. كيف تقبلين هذا؟ إنها أمك... ولا يجوز... فانساب صوت "**كارلا**" واضحًا رنانا في الغرفة:

– نعم.. إنها أمي ولهذا السبب أطلب إليك أن يقرأ خطابها هنا، فإن هذا من حقي. فهزت "**أنجيلا**" كتفيها، وفي بطء شديد أخرجت من حقيبة يدها الخطاب وسلمته إلى "**بوارو**" الذي قرأه بصوت مسموع للجميع. وتوقف "**بوارو**" عن القراءة بعد أن فرغ من تلاوة الخطاب ثم قال:

– إنه خطاب مدهش، أليس كذلك؟ خطاب عجيب، رائع.. ولكن الذي يلفت النظر فيه هو أنه خال تماما من أي ادعاء ببراءتها. فقالت "**أنجيلا**":

– لا داعي لأن تؤكد لي براءتها؛ لأني أعرف أنها بريئة، وهي أيضًا تعرف هذه الحقيقة البديهية، فلماذا تؤكد لي؟

– نعم يا آنسة "**وارين**"، كانت "**كارولين**" تعرف تماما أنها بريئة، وأنك واثقة ببراءتها، بل إنك أكثر الناس ثقة بهذه البراءة، لقد كان همها فقط في هذا الخطاب هو أن تواسيك وتهدئ من أعصابك، وتؤكد لك أنها ليست آسفة أو نادمة أو حزينة، وأن عليك أن تنسي كل شيء، وتعيشي حياتك في سعادة ونجاح.

– من البديهي أن ترجو أخت لأختها كل سعادة ونجاح في الحياة.

– نعم، ولكن لا تنسي أنها كانت لها طفلة في الخامسة من عمرها، ومع ذلك فقد كان كل تفكيرها متجها إليك أنت دون طفلتها، إنها لم تفكر في طفلتها إلا أخيراً، وهي على فراش الموت، ولم تكتب إليها شيئًا أكثر من أنها بريئة، أما من ناحيتك أنت، فقد كانت في أشد حالات القلق، كانت تريد أن تؤكد لك أنها ليست آسفة، وأنها ستحتمل العبء راضية لأن على الإنسان أن يدفع ثمن ما جنت يداه كما ذكرت في نص خطابها. إن هذه العبارة توضح كل شيء. إنها تبين مدى الآلام النفسية التي تحملتها منذ أن أصابت أختها في ساعة غضب وغيرة إصابة سببت لها عاهة مستديمة، ولكن ها هي ذي الأقدار قد أتاحت لها الفرصة لدفع الثمن. ولكي تخفف عن نفسها الآلام الرهيبة ووخز الضمير، وأنا أستطيع أن أؤكد أن "**كارولين**" – بعد أن دفعت هذا الثمن – أحست بسكينة النفس، وهدوء البال، وراحة الضمير بل أحست بلون من السعادة الروحية لم يسبق لها مثيل في حياتها، لقد كانت تعتقد أنها دفعت ثمن الذنب الذي ارتكبته في حق أختها... ولهذا احتملت إجراءات المحاكمة في صبر واستسلام ورضاء. كان الناس يظنون أنه استسلام المجرم لمصيره، وأنا أقول كما سأبين لكم إنه استسلام الإنسان لراحة الضمير. وصمت "**بوارو**" برهة قبل أن يستطرد قائلاً:

– والآن سأذكر لكم تسلسل الأحداث وانطباقها على الحقائق، واتفاق بعضها مع بعض وتناسقها التام مع المبادئ البديهية لعلم النفس.. فنبدأ أولا بحادثة بسيطة وقعت في مساء اليوم السابق على المأساة.. تلك هي حادثة المشاجرة الصبيانية التي وقعت بين "**أنجيلا**" و"**أمياس**" بشأن الالتحاق بالمدرسة. لقد ألقت "**أنجيلا**" على "**أمياس**" بثقالة ورق ودعت عليه دعوات سيئة، ثم انطلقت باكية إلى غرفتها، وقد أعاد هذا المنظر.. منظر إلقاء ثقالة الورق على "**أمياس**" إلى ذهن "**كارولين**" ذكريات الحادث الذي أصابت فيه أختها بثقالة ورق إصابة كادت تكون قاتلة، وقد صاحت "**أنجيلا**" في "**أمياس**". بأنها تتمنى لو تراه ميتًا، وفي ضحى اليوم التالي ذهبت "**كارولين**" إلى ثلاجة القصر لتأخذ منها زجاجة بيرة مثلجة وهناك وجدت "**أنجيلا**" واقفة وفي يدها زجاجة، وعلى وجهها أمارات من ارتكبت ذنبًا، وهذا هو التعبير الذي ذكرته الآنسة "**ويليامز**" في تقريرها، وكانت الآنسة "**ويليامز**" تقصد من التعبير شعور "**أنجيلا**" بخطئها في الهرب منها طوال فترة الصباح، ولكن "**كارولين**" تذكرت فيما بعد أمارات الشعور بالذنب هذه وفهمت منها شيئًا آخر.. نعم، لا تنسوا أن "**أنجيلا**" اعتادت أن تداعب "**أمياس**" وتضع في شرابه أشياء مرة المذاق.. وهكذا أخذت "**كارولين**" زجاجة البيرة المثلجة، ومضت بها إلى زوجها في حديقة البحر، وسكبت منها في الكأس الموضوعة على منضدة بجانبه، وشرب هو الكأس في جرعة واحدة وتأفف من مذاقها قائلاً «إن كل شيء في فمه مر هذا اليوم» ولكن "**كارولين**" لم تشك في شيء عندئذ، وبعد أن اكتشفت موت زوجها عقب طعام الغداء شكت في الأمر، بل أيقنت أنه مات مسمما، ولكنها هي لم ترتكب الجريمة، فمن إذن الذي ارتكبها؟ وتذكرت هي كل شيء في لحظة.. تذكرت رغبة "**أنجيلا**" في رؤية "**أمياس**" ميتًا، تذكرت أمارات الشعور بالذنب على وجهها وهي واقفة بجانب الثلاجة تعبث بالزجاجات، ولكن لماذا فعلت الصبية هذا؟ لا شك في أنها لم تكن تقصد أن تقتله، لعلها أرادت فقط أن تغيظه، أن تجعله يمرض.. أو أنها قتلته فعلاً من أجلها هي.. من أجل "**كارولين**".

مهما يكن السبب فقد كادت هي – وهي في مثل هذه المرحلة من العمر – أن تقتل أختها، فلماذا لا تفعل "**أنجيلا**" هذا أيضًا؟ حسنًا، يجب إذن أن تحمي "**أنجيلا**" بأي ثمن، لقد أمسكت الفتاة بالزجاجة التي دست فيها السم، فيجب إذن أن تزيل عن الزجاجة كل آثار للبصمات.. إنها لم تكن تزيل بصماتها هي، وإنما بصمات "**أنجيلا**" أيضًا وهو المهم.. ثم ماذا أيضًا؟ يجب أن تجعل كل إنسان يعتقد أن "**أمياس**" مات منتحرًا، وأنها لم تفكر في تلك اللحظة أن الناس من الناحية النفسية لن يصدقوا انتحار "**أمياس**". إن كل همها كان مركزا في إنقاذ "**أنجيلا**" بأي ثمن، وهكذا طبعت بصمات زوجها على الزجاجة وكانت تعمل هذا كله بسرعة واضطراب وحذر، وهي ترهف السمع هنا وهناك. وإذا نحن نظرنا إلى الموضوع من هذه الزاوية أدركنا أن كل شيء بعد ذلك يتفق معه..

أدركنا سر استسلام "**كارولين**" في أثناء المحاكمة مع الإصرار على براءتها، وسر قلقها الشديد على "**أنجيلا**"، وسر رغبتها في إبعادها فورًا عن مسرح المأساة إلى الريف، ثم سر إصرارها على إبعادها خارج البلاد خوفا من أن تنهار أعصاب الفتاة وتعترف بكل شيء.

- 15 -

واستدارت "**أنجيلا وارين**" نحو الجميع، ثم قالت بصوت حاد وعينين متألقتين بالغضب:

– إنكم جميعًا أغبياء حمقى، ألا تعرفون أني لو كنت المذنبة لاعترفت بالحقيقة ولا تركت أختي الحبيبة تتحمل الوزر عني؟

– ولكنك عبثت فعلا بمحتويات زجاجة البيرة، التي حملتها "**كارولين**" إلى "**أمياس**"!

– أنا؟ ربما.. فإني لا أذكر تماما.. ولكني لا.. لقد تذكرت الآن فقط.. عجبا،

لقد عبثت بمحتويات إحدى الزجاجات حقًّا، ولكني لم أضع فيها سما، وإنما هذه المادة التي سبق أن وضعتها في شراب "**أمياس**" أكثر من مرة، إنها مادة لا تضر، وأذكر أنها تسمى "مصيدة القطط" لأن رائحتها تجذب القطط، وأذكر الآن حقًّا أني ذهبت في الصباح إلى منزل السيد "**ميرديث**" وتسللت إلى هذه الغرفة عن طريق النافذة واختلست كمية من هذه المادة. فقال "**ميرديث**" :

– آه.. عندما شعرت كأن قطة تدخل هذه الغرفة صباحًا! فقال "**بوارو**" :

– إن الذي جعلك تشعر بوجود قطة بالذات هو تشممك لرائحة المادة، ما اسمها؟

– "**فاليريان**".

– نعم، إن لك حاسة شم قوية، وقد أوحت لك هذه الرائحة بأن إحدى القطط هي التي تسللت من فتحة النافذة، وهي فتحة ولا شك كانت كافية لدخول قطة منها. فقالت "**أنجيلا**" :

– نعم.. أذكر أني دخلت من فتحة النافذة بعد أن رفعت المصراع قليلا، وعدت إلى القصر من طريق آخر.. وهذا يفسر «أمارات الشعور بالذنب التي رأتها الآنسة "**ويليامز**" وأختي "**كارولين**" على وجهي بعد أن أغلقت زجاجة البيرة. وتوقفت "**أنجيلا**" برهة ثم قالت:

– ولكنني تذكرت الآن شيئًا آخر مهمًّا جدًّا، تذكرت أنني لم أجد الفرصة الكافية لأضع المادة في الزجاجة في ذلك اليوم، لأنني ما كدت أحملها من الثلاجة لأعبث بها حتى أقبلت الآنسة "**ويليامز**" وأختي "**كارولين**".. نعم أقسم أنني لم أعبث ذلك اليوم بمحتويات أية زجاجة.

ثم أردفت بصوت هادئ وهي تنتقل بنظراتها من وجه إلى آخر:

– إنني لم أقتل "**أمياس كريل**"، لا عمدا ولا نتيجة مداعبة ثقيلة.. ولو أني فعلت هذا لاعترفت بكل شيء. وقالت الآنسة "**ويليامز**" :

– بالتأكيد يا عزيزتي، لن يتهمك بقتل "**أمياس**" إلا كل أحمق وغبي. ثم

نظرت إلى "**بوارو**" في تحد وغضب. وابتسم "**بوارو**" وقال:

– إنني لست غبيا، ولا أحمق، ولهذا لا أتهم "**أنجيلا**" بارتكاب هذه الجريمة، لأني أعرف عن يقين من قتل "**أمياس كريل**"!

– من الخطر دائمًا أن نقبل بعض التصرفات على أنها حقائق ثابتة غير قابلة للشك، بينما هي في الواقع أبعد ما تكون عن الحقيقة، ولنأخذ – مثلا – الموقف في قصر "**ألدربري**" إنه موقف الصراع الخالد بين امرأتين من أجل رجل واحد ولقد تقبلنا ببساطة وبداهة الحقيقة، حقيقة عزم "**أمياس كريل**" على هجر زوجته والزواج بـ "**إلزا جرير**"، وتلك إحدى الحقائق الخادعة التي ليس فيها من الحقيقة إلا اسمها. ولهذا أقول إن "**أمياس**" لم يكن عازما أبدًا على هجر زوجته أو الانفصال عنها. وصمت "**بوارو**" برهة، وراح يطوف بنظراته على وجوه الجميع، قبل أن يستطرد قائلاً:

– كان "**أمياس**" يجري وراء النساء، ويظل مفتونًا بالواحدة منهن طالما كانت نزوة الحب العابرة تربط بينهما، فإذا خمدت هذه النزوة نسي كل شيء عن صاحبته هذه ليبحث عن غيرها، وهكذا.. وكانت غرامياته تدور حول نوع معين من النساء المجربات، النساء اللائي يعرفن حقيقة العاطفة المتقلبة التي تجيش في صدر هذا الفنان. ولهذا لم تكن إحداهن تنتظر منه الكثير.. كل واحدة منهن كانت تعرف أن علاقته بها مجرد نزوة طارئة، لن تلبث حتى تزول، ولكن "**إلزا**" كانت تختلف.. لم تكن امرأة.. وإنما كانت أقرب إلى طفلة، كانت فتاة قليلة التجربة، عديمة الخبرة أو تكاد، وكما شهد الجميع كانت مخلصة في حبها لـ"**أمياس**"، مفتونة به، متفانية فيه، واثقة به. إنها قد تكون في نظر الجميع جريئة مستهترة في بعض تصرفاتها، صريحة أكثر مما ينبغي، لا يهمها أحد، ولا تهتم بغير رغباتها، قد تكون هذه كلها بعض صفاتها، حب الفتاة لفتى الأحلام. وكانت تعتقد بل توقن، لفرط استغراقها في الحب، أنه يبادلها هذه العاطفة الجبارة بمثلها، كانت تؤمن إيمانا عميقًا بأن الحب هو حب الحياة، وحب العمر كله.. وكانت واثقة بأنه دون أن

تطلب منه سيهجر زوجته من أجلها. ومرة أخرى صمت "بوارو" برهة قبل أن يستأنف حديثه قائلاً:

– ولكن، قد يتساءل أحدكم: لماذا تركها "أمياس" تعيش في هذا الوهم الكبير؟ لماذا لم يحاول أن يصارحها بالحقيقة؟ الإجابة عن هذا، هي: الصورة! إن هذه الإجابة تبدو للبعض غريبة شاذة، غير معقولة.. ولكنها لن تكون كذلك لمن يعرف نفسية الفنانين. إن الفنان الأصيل الموهوب يقدم فنه على كل شيء. وهكذا كان الحال مع "أمياس". كانت اللوحة في نظره هي كل شيء. ونحن نستطيع أن نفهم الآن معنى حديث "أمياس كريل" مع السيد "ميرديث بليك" عندما ربت كتفه وقال له ضاحكا: «اطمئن يا صديقي.. إن كل شيء سينتهي على خير».. أرأيتم كيف كان كل شيء في نظر "أمياس" بسيطا سهلا، ينتهي بالخير.. إنه مشغول برسم لوحة يعتبرها من أعظم اللوحات التي رسمها في حياته. إنه لن يدع غيرة امرأتين تعوقه عن إتمام هذه اللوحة، التي يعتبرها أعظم شيء في حياته. وارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي "بوارو" وهو يستطرد قائلاً:

– لو أن "أمياس" صارح "إلزا" بحقيقة مشاعره نحوها، أعني أنه عاملها كما كان يعامل غيرها من النساء، يعيش مع الواحدة منهن أسبوعا أو بضعة أسابيع ثم يهجرها، إذن لثارت عليه، وأبت أن تجعله يتم الصورة.. اللوحة.. العمل الفني الذي كان يراه أهم شيء في حياته يومذاك. ومن المحتمل جداً أنه – في غمرة حماس حبه لها في أول الأمر – قد حدثها عن الزواج، وعن هجره لزوجته. وليس هو أول عاشق يخدع حبيبته – الفتاة – بالحديث عن الزواج أو لعله ترك "إلزا" تعتقد في قرارة نفسها أنه يحبها هذا الحب الذي يجعله في النهاية يضحي بزوجته وابنته من أجلها. فماذا يهمه؟ لتعتقد ما يشاء لها أن تعتقد، ولتظن ما يريد لها الهوى من الظنون، إنه لن يحفل بما تعتقد، وبما تظن، وإنما هو يحفل بشيء واحد فقط، وهو إتمام اللوحة بأي ثمن. وكان يعزي نفسه في غمرة هذه المحنة بأن الأمر كله لن يحتاج إلى أكثر من يومين أو ثلاثة، ثم ينتهي كل شيء على خير، كما قال

لـ "**ميرديث**" .. نعم، ينتهي كل شيء.. في رأيه على خير، حين يصارح "**إلزا**" بحقيقة مشاعره، حين يقول لها إن كل شيء بينهما قد انتهى، حين يؤكد لها أنه لا يستطيع أن يهجر زوجته وابنته. وكلنا نعرف أنه كان رجلاً مستهتراً بعواطف النساء، ولكن ينبغي ألا ننسى أنه حذر "**إلزا**" في علاقته بها من نفسه، لقد صارحها بحقيقته وذكر لها أي رجل هو، ولكنها أبت أن تأخذ هذا التحذير مأخذ الجد، واندفعت إلى قدرها المحتوم بكل عواطفها، اندفعت تلقي بنفسها بين ذراعي رجل يرى المرأة لعبة بين يديه. وإذا أنت سألته عن هذا لقال لك ضاحكًا إن "**إلزا**" شابة صغيرة، وإنها لن تلبث أن تفيق من صدمة هذا الحب، لكي تبحث عن حب آخر، وهكذا، ذلك هو "**أمياس**"، وتلك هي آراؤه عن الحب وعن النساء. وصمت "**بوارو**" فترة وجيزة قبل أن يردف قائلاً:

– ولكن زوجته "**كارولين**" كانت المرأة الوحيدة التي يحبها من صميم قلبه، ولا يطيق الانفصال عنها إلى الأبد، وكان حبه لها، وتقديره لشخصيتها يتضاعف كلما تسامحت معه، وصبرت على تصرفاته، وقدرت الدوافع التي تجعله يجري بين الحين والآخر وراء هذه المرأة أو تلك، ثم يعود إليها نادما مستغفرا! وكان في أثناء رسم اللوحة مطمئنا من ناحيتها، كان يعرف أنها – لأجله – ستصبر على هذا الوضع الشاذ يومين أو ثلاثة حتى يفرغ من رسم اللوحة، وهذا هو سر ثورته وغضبه على "**إلزا**" حين أحرجت مركزه بحديثها عن الزواج أمام زوجته. لقد وجد نفسه فجأة في أصيل اليوم السابق على المأساة في موقف لا يحسد عليه، وجد نفسه بين "**إلزا**" وزوجته. فهو إذا أغضب "**إلزا**" وطردها من القصر فإنه لا يستطيع أن يتم اللوحة، ومن ثم تضيع كل جهوده فيها سدى.. إذن ماذا يفعل؟ لم يكن أمامه إلا أن يعتمد على تسامح زوجته، وأن يؤلمها مرة أخرى، ثم يبين لها حقيقة الموقف بعد يوم أو يومين، وهكذا كان "**أمياس**" يفكر، وهكذا كان يحل مشاكله بمثل هذه السهولة والبساطة. ولكنه في مساء اليوم نفسه، شعر بالقلق على "**كارولين**" لا على "**إلزا**"، ولعله ذهب إلى غرفتها في المساء ليوضح لها الأمر، فأبت أن

تحدثه.. وأيا كان الأمر، فإنه بعد ليلة من القلق والهم انفرد بها في غرفة المكتب عقب طعام الفطور وصارحها بالحقيقة.. صارحها بأنه لم يعد يحب "**إلزا**" ، وأن شعوره نحوها لا يزيد على شعوره نحو النساء الأخريات، مجرد نزوة عابرة، وأنه لن يتردد في ترحيلها عن القصر بعد أن يفرغ من رسم اللوحة، أي بعد يوم أو اثنين على الأكثر. ولا شك في أن "**كارولين**" أجابت عليه عندئذ هاتفة في نفور وغضب «هكذا أنت دائما مع نسائك، لسوف أقتلك يومًا» إن هذه العبارة قد وضعت "**إلزا**" في مستوى "نسائه" السابقات، ومع ذلك كانت "**كارولين**" غاضبة منه، مشمئزة من تصرفاته، تعتقد أنه اشتد في قسوته على الفتاة الغافلة، ولما رآها "**فيليب**" بعد ذلك في الصالة، أعني "**كارولين**"، وسمعها تقول لنفسها في ذهول: «يا للقسوة!» فإنما كانت تعبر عن قسوة "**أمياس**" على "**إلزا**" ، لا عليها هي. أما عن "**كريل**" فقد غادر المكتبة، ورأى "**إلزا**" في الشرفة مع "**فيليب بليك**"، فطلب إليها – بخشونة – أن تمضي معه إلى البحر لتجلس في الوضع المطلوب، حتى يفرغ من إتمام اللوحة، ولكن الشيء الذي لم يكن يعرفه هو أن "**إلزا**" كانت جالسة تحت نافذة المكتبة من الخارج، وأنها سمعت وعرفت كل شيء. إن ما كتبته في تقريرها وما تحدثت به في شهادتها في أثناء المحاكمة لم يكن الحقيقة كلها. ومرة أخرى صمت "**بوارو**"، قبل أن يستأنف تحليله للموقف قائلاً:

– ويمكنكم أن تتصوروا الصدمة التي أصابتها حين تبينت الحقيقة.. حقيقة شعور "**أمياس**" نحوها.. وكانت في اليوم السابق على المأساة، أعني عند زيارتها مع الجميع لبيت "**ميرديث بليك**"، قد وقفت تتحدث إليه خارج باب هذه الغرفة، بعد أن فرغ هو من محاضرته عن هوايته. وقد ذكر "**ميرديث**" أنه كان واقفا يحادثها وظهره إلى باب الغرفة، ومن ثم أمكنها أن ترى "**كارولين**" وهي تختلس سم "**الكونين**" من الزجاجة، وقد اعترفت هي بذلك، اعترفت بأنها رأت "**كارولين**" وهي تأخذ كمية من السم من زجاجة "**الكونين**" .. ولكنها لم تقل شيئًا لأحد في تلك الليلة، ولعلها لم تكن تعرف ماذا أخذت "**كارولين**"، أو لعلها

عرفت، ولكنها ظنت أن "**كارولين**" أخذت السم لتنتحر به، وأيا كان الأمر فقد فكرت في هذا السم وهي جالسة تنصت إلى الحقيقة تحت نافذة المكتبة. فلما طلب إليها "**أمياس**"، بعد ذلك، أن تذهب معه إلى حديقة البحر، استأذنت منه قائلة إنها ستصعد لتأتي بصدارها الصوفي لتحتمي به من برد هواء البحر. وقد صعدت لا لتأتي بالصدار فحسب، وإنما لتظفر بكمية "**الكونين**" من غرفة "**كارولين**"، والنساء عادة يعرفن بالغريزة المكان الذي تخفي فيه غيرهن من النساء بعض الأشياء، وهكذا لم تجد "**إلزا**" صعوبة في العثور على زجاجة "**الكونين**" في درج خزانة ملابس "**كارولين**"، وحتى لا تترك بصمات أصابعها على الزجاجة أخذت الكمية بطريقة "الشفط" بشفاطة قلم حبر، ثم هبطت إلى "**أمياس**" وذهبت معه إلى حديقة البحر، وانتهزت أول فرصة ووضعت السم في كأس البيرة – الساخنة – دون أن يراها، وشرب هو الكأس كعادته في جرعة واحدة. وفي الوقت نفسه كانت "**كارولين**" مضطربة بسبب قسوة زوجها على "**إلزا**"، فلما رأتها تعود إلى القصر لتحضر معطفها الصوفي الأحمر، أسرعت إلى زوجها في حديقة البحر، وراحت تعنفه على قسوته، وتطلب إليه أن يترفق بالفتاة المسكينة، وأن يقطع صلته بها تدريجيا حتى لا يصدمها وهي في أول عهدها بالحياة، لكنه أجابها بعنف بأن كل شيء قد انتهى.. وأنها لابد أن ترحل في أسرع وقت، وفي تلك اللحظة سمعا وقع أقدام تقترب، أقدام "**فيليب**" و"**ميرديث بليك**" فاضطربت "**كارولين**"، وخرجت إليهما تحاول الابتسام قائلة إنها كانت تتناقش مع زوجها في موضوع إلحاق "**أنجيلا**" بالمدرسة، وبطبيعة الحال ظن الأخوان – ولهما العذر – أن المناقشة أو المشاجرة كانت خاصة بموضوع "**أنجيلا**"، وأن قول "**أمياس**" عن انتهاء كل شيء، والرحيل في أسرع وقت، كان يقصد به "**أنجيلا**" لا "**إلزا**" بالتأكيد، وعندئذ أقبلت "**إلزا**" وفي يدها المعطف الصوفي الأحمر، هادئة، باسمة واستأنفت جلستها في الوضع المناسب.

وصمت "**بوارو**" برهة ليلتقط أنفاسه قبل أن يعود إلى الحديث قائلاً:

- كانت "**إلزا**" تعتمد ولا شك على أن تهمة قتل "**أمياس**" سوف تقع في النهاية على كاهل "**كارولين**" ، وذلك عندما يعثر المسؤولون على زجاجة "**الكونين**" في غرفتها وعليها بصمات أصابعها . والعجيب أن "**كارولين**" ضاعفت من الخطر المحدق بها حين أحضرت بنفسها زجاجة البيرة المثلجة ، وصبت منها في :كأس زوجها . وجرع هو الكأس دفعة واحدة كعادته ثم تأفف وقال :« كل شيء في فمي اليوم مر ».. فما معنى هذا ؟ معناه الواضح أن شيئا آخر كان مرا في فمه قبل هذه الكأس ، وماذا يكون هذا الشيء غير الكأس الأولى التي قدمتها "**إلزا**" إليه مسممة بـ "**الكونين**" ، وقد جعل هذا السم - البطيء المفعول كما قال "**ميرديث**" - لسان "**أمياس**" مرا وأخذ كل شيء يتسم بالمرارة ، وقد ذكر "**بليك**" في تقريرة أن "**أمياس**" كان يترنح قليلا وهو يعود للعمل بعد عودة "**إلزا**" بالمعطف الأحمر ، وظن أنه أسرف في الشرب ، والتمس له العذر بسبب المشكلات النسائية التي يعانيها ، أما الحقيقة ، وأما السبب الحقيقي في هذا الترنح فهو أن مفعول "**الكونين**" كان قد بدأ يسري في جسمه..

وهكذا جلست "**إلزا**" في الوضع الخاص على سور الحديقة ولكي تجعله لا يشك في الأمر إلا بعد فوات الفرصة راحت تثرثر معه في مرح مصطنع عن المستقبل . وعن شهر العسل في "**إسبانيا**" ، وعن حفلات مصارعة الثيران التي تنوي أن تشاهدها معه ، وقد سمع "**ميرديث**" طرفا من هذا الحديث وهو جالس فوق الهضبة المشرفة على الحديقة .. وقد لوحت "**إلزا**" إليه بذراعها ، وبذلت كل جهدها لتبدو طبيعية في تصرفاتها .

أما "**أمياس كريل**" ، الذي كان يكره الاعتراف بالمرض ، فقد ظل يواصل الرسم بعناد على الرغم من شعوره العنيف بتصلب عضلاته ، وكان ، كما قال ، يظن الأمر "بوادر" روماتيزم عضلي فلما دق جرس الغداء ، استلقى على المقعد الخشبي المستطيل متهالكا ، وكان المسكين عندئذ قد شل تماما بحيث أصبح عاجزا عن طلب النجدة . وأعتقد أن "**إلزا**" في تلك اللحظة ، أسرعت وأفرغت بقية قطرات

السم من الشفاطة في كأس الشراب ، وذلك قبل أن يهبط "**ميرديث**" من الهضبة ويصل إلى باب الحديقة لكي يصحبها معه إلى القصر للغداء .. وقد تخلصت من شفاطة قلم الحبر في أثناء سيرها في الممر حيث داست عليها بقدمها .. أما "**أمياس**" فنحن لا ندري ماذا كان شعوره في اللحظات الأخيرة هل عرف الحقيقة ؟ هل داخله الشك ؟ المهم أنه أثبت أصالة فنه ، وروعة عبقريته في اللمسات الأخيرة التي رسم بها العينين في اللوحة.

ثم أشار "**بوارو**" إلي اللوحة المعلقة في غرفة المعمل ، وأردف قائلا :

– انظروا إلى هاتين العينين ، وتأملوها بإمعان .. لسوف ترون أن "**أمياس**" رسمهما بصدق غريزي ، رسمهما وهو لا يشعر بأنه رسم عيني قاتلة ، عيني قاتلة كانت ترقب ضحيتها وهو يموت .

في ذلك السكون الرهيب المخيم على الغرفة ، تلاشى آخر شعاع من الشمس الغاربة عن النافذة ، وذلك بعد أن استقر برهة على الوجه الشاحب .. وجه "**إلزا جرير**" ، التي أصبحت تدعى السيدة "**ديتشام**" .

وتململت هي في مكانها قليلا ، ثم قالت لـ"**بوارو**" :

– دعهم يخرجون جميعا .

وظلت في مكانها ساكنة حتى خرج الجميع ، فيما عدا "**بوارو**" الذي تبادل نظرات خاصة مع الآخرين ، "**فيليب**" و"**ميرديث بليك**" .

وأخيرا قالت :

– ماذا تنوي أن تفعل .. بعد ذلك ؟

– أخبريني أنت أولا ، ماذا تنوين أن تفعلي ؟

هزت كتفيها وقالت :

– إنني لا أدري ، إن حياتي في الواقع انتهت في تلك اللحظة التي سمعت فيها الحقيقة من "**أمياس**" وهو يتحدث مع "**كارولين**" في غرفة المكتبة . وفي تلك اللحظة ، أحسست كأن شيئا في أعماق نفسي قد مات وانتهى ، لقد تحولت كل

عواطفي الإنسانية أو الحيوانية ، إذا شئت ، إلى عاطفة واحدة .. هي الحقد والرغبة في الانتقام ، وكنت قد رأيت "**كارولين**" وهي تأخذ كمية من سم "**الكونين**" من هذه الغرفة وخطر لي في أول الأمر أنها قررت الانتحار ... ومن ثم لم أشأ أن أقول شيئا ، ولماذا أقول ؟ أليس من الأفضل لي ، ولـ"**أمياس**" ، أن تنتحر وتفسح لنا الطريق ؟.. ولكني حين سمعته يقول لها في صباح اليوم التالي ، إنه لم يعد يهتم بأمري في قليل أو كثير ، وإنه سيطردني من القصر بعد أن يفرغ من الصورة ، تذكرت فعلا هذا السم . تذكرته وأنا ألتهب بالحقد عليه .. وعليها هي التي رثت لحالي ، وحزنت من أجلي ، واتهمت زوجها بالقسوة علي . إن أسعد لحظة في حياتي ، هي اللحظة التي كنت أراه فيها وهو يموت تدريجيا . لقد وضعت السم في كأسه الأولى ، تماما كما ذكرت أنت ، ووضعت بقاياه في الكأس التي بقيت فيها قطرات من البيرة المثلجة التي حملتها إليه "**كارولين**" ، وكنت أتمنى أن أراها معلقة في حبل المشنقة ، ولكن الشيء الذي لم أتبينه فيما بعد ، هو أنني قتلت نفسي أيضا بهذه الجريمة التي ارتكبتها ! يقال إن بعض القتلة يعيشون هادئين ، مطمئنين ، ما دام سرهم خافيا عن الجميع ، ولكني لم أكن من هؤلاء ، لقد كنت أعيش وصورة "**أمياس**" في لحظاته الأخيرة لا تفارق ذهني ، كنت أعيش وأنا ميتة حية إذا صح هذا التعبير .. ولست أرجو منك الآن، إلا أن تتركني حتى الصباح ، وعندئذ ستعرف أنت ، والجميع ، كل شيء ونهضت كالشبح، وسارت خارج الغرفة ، ومرت في طريقها بشاب وفتاة "**جون راتيري**" ، و"**كارلا**" .. باثنين بدآ يشعران بجمال الحياة ..

وفي الصباح ، فوجئ قراء الصحف بنبأ إنتحار السيدة "**إلزا ديتشام**" لأسباب لا تزال مجهولة ..

تمّت بعون الله